جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

التَّوازي التَّركيبيُّ في السُّوَرِ المكِّيَّةِ من القرآن الكريم

(The Structural Parallel in The Meccan Verses of The Holly Quran)

إعداد الطالب:

عادل خليف حمود الشمري

الرقم الجامعي: 2013101025

إشراف:

الدكتور سالم مرعي الهدروسي

حقل التخصص: اللغة والنحو

2017 /2016

التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم

(The Structural Parallel in The Meccan Verses of The Holly Quran)

إعداد الطالب

عادل خليف حمود الشمري

الرقم الجامعي: 2013101025

بكالوريوس، لغة عربية وأدابها، جامعة حائل

قدمت هذه الرسالة استكمالات لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها اللغة والنحو، جامعة اليرموك – إربد – الأردن

لجنة المناقشة

الدكتور سالم مرعي الهدروسي.....رئيساً ومشرفاً

الدكتور خالد قاسم بني دومي..... عضوًا

الدكتور عبد المهدي هاشم حسين الجراح..... عضواً

تمت مناقشة الرسالة وإجازتها 29 / 12 / 2016م

الإهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد وعلى آله، وصحبه، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

فأهدي هذا العمل إلى من لن يصله إهدائي، وإنما يصله أجره بإذن الله، إلى مثلي وقدوتي، والدي "رحمه الله" الذي علّمني العطاء دون انتظار، وحملت اسمه بكل افتخار، والذي ساعدني منذ الصغر إلى كل نجاح، أسأل الله أن يعفو عنه ويرحمه، ويجمعنا معه في جنات النعيم.

إلى من يسعد قلبي بلقياها، وكان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى والدتي الحبيبة، جزاك الله كل خير ومتعك بالصحة والعافية.

إلى من كانوا عوناً لي: إخوتي وأخواتي.

إلى نصفي الآخر التي عايشت مشواري، وصبرت معي زوجتي.

إلى فلذّات كبدي، ابني فارس وبناتي أسيل، فجر، نوره

كما افتخر أن أُهدي هذا العمل إلى أبناء منطقتي "حائل" على وجه العموم، وإلى أبناء عشيرتي على وجه الخصوص.

وإلى زملائي في الدراسة، وإلى جميع أساتذة وطلاب الدراسات العليا.

وإلى كل من له فضل علي.

الباحث

عادل خليف حمود الشمري

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد،،

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور الفاضل سالم مرعي الهدروسي على تكرمه بالإشراف على رسالتي، وتقديم الملاحظات والتوجيهات الثمينة، التي كان لها أطيب الأثر في إنتاج هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر إلى عضوي لجنة المناقشة: الدكتور خالد قاسم بني دومي، والدكتور عبد المهدي هاشم الجراح؛ على قبولهما مناقشة هذه الرسالة والحكم عليها، وأتوجّه بالشكر إلى جميع أساتذتي الأفاضل على توجيهاتهم السديدة.

وبالله التوفيق

فهرس المحتويات

الإهداء..... ج

شكر وتقدير .....د

فهرس المحتويات .....ه

ملخص البحث ..... ح

المقدّمة: 1

التعريف بالموضوع..... 1

الدراسات السابقة 3

أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع..... 4

الهدف من الدراسة 5

خطة الدراسة 6

التمهيد..... 8

التوازي لغةً..... 8

التوازي اصطلاحاً 9

التطور الدلالي للتوازي بين القديم و الحديث 11

التوازي الصوتي 15

التوازي الصرفي (اللفظي) 17

التوازي التركيبي..... 18

مفهوم التوازي التركيبي 19

وظيفة التماثل الموقعي..... 22

أنواع التوازي التركيبي من حيث البنى 24

الفصل الأول: التوازي التركيبي في الجملة الاسمية ولواحقها..... 32

توازي الجملة الاسمية 32

التوازي التركيبي في المبتدأ والخبر 33

التوازي التركيبي في تقدّم المبتدأ على الخبر..... 38

التوازي التركيبي في الجملة الاسمية الواقع خبرها جملة 43

التوازي التركيبي في متعلقات الخبر..... 44

التوازي التركيبي في النواسخ..... 47

التوازي التركيبي في كان وأخواتها..... 47

التوازي التركيبي في " أن" وأخواتها..... 53

التوازي التركيبي بين "إنّ" و" كان" و" ظنّ" 59

التوازي التركيبي في "كاد" وأخواتها..... 60

الفصل الثاني: التوازي التركيبي في الجملة الفعلية..... 65

التوازي التركيبي في الجملة الفعلية لازمة الفعل 66

التوازي التركيبي في الجملة الفعلية متعدية الفعل..... 69

التوازي التركيبي بين الجملة الفعلية لازمة الفعل ومتعدية الفعل 82

التوازي التركيبي في الجملة الفعلية متعدية الفعل إلى مفعولين 87

التوازي التركيبي في المنصوب على الاشتغال..... 92

التوازي التركيبي في الأسماء التي تعمل عمل فعلها 94

التوازي التركيبي بين الجملة الاسمية والفعلية 95

الفصل الثالث: التوازي التركيبي ضمن الأساليب النحوية 101

التوازي التركيبي في الاستفهام..... 102

التوازي التركيبي في الشرط وجوابه 113

التوازي التركيبي في النهي والنفي 122
التوازي التركيبي في النداء..... 131
الخاتمة 138
قائمة المصادر والمراجع 142

التَّوازي التَّركيبيُّ في السُّوَرِ المكِّيَّةِ من القرآن الكريم

إعداد الطالب: عادل خليف حمود الشمري

إشراف الدكتور: سالم مرعي الهدروسي

ملخص البحث

إن البحث في التوازي التركيبي في القرآن الكريم، أولى من البحث في التوازي التركيبي في غيره، لذا أولاه الباحثون في زماننا اهتماما بالغاً، دراسةً وتحليلاً، الأمر الذي قاد الباحث إلى القيام بدراسة هذا الموضوع، وآثره دون غيره؛ لما يمتاز به، بالقداسة، والتنزّه بألفاظه ومعانيه.

وعليه، جاء عنوان البحث: (التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم)، فهو علم يبحث في مستويات اللغة، منطلقاً من الجانب التركيبي، بحيث تقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في استقراء مواطن التوازي التركيبي في آيات السور المكية من القرآن الكريم، والبحث في الأثر الدلالي لهذه المواطن، وقد صنفه الباحث إلى تمهيدٍ وثلاثةِ فصولٍ وخاتمة.

تعَرض الباحث في التمهيد إلى مفهوم التوازي التركيبي، ومكوناته، وأقسامه، خلوصاً إلى أهميته، والبنى المتشابهة والمتغايرة منه، وتناول في الفصل الأول: التوازي التركيبي في الجملة الاسمية ولواحقها، وتناول في الفصل الثاني: التوازي التركيبي في الجملة الفعلية، ولواحقها، وأما الفصل الثالث، فقد أسهب البحث فيه عن التوازي التركيبي في الأساليب اللغوية، من استفهامٍ، وشرطٍ، ونهيٍ، ونفيٍ، ونداء، وقد اشتملت الدراسة على دراسة أثر التوازي التركيبي على سبيل الأصوات والألفاظ والتراكيب، ثم ختم البحث بالنتائج التي استخلصت بما آلت الوصول إليها.

المقدّمة:

بسم الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأفضل الصلاة على النبي المصطفى محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه الكرام البررة، وبعد،،

فلقد عني علماء اللغة والنقاد والبلاغيون القدماء بدراسة التوازي في مؤلفاتهم، وأولوه حق العناية لما له من أهمية، ودور بارز في الكشف عن جماليات العلاقات بين الأبنية والمعاني، وقدّموا فيه جهوداً عديدة مثمرة ثم قدّم المُحدثون جهوداً أعمق وأشمل بمصنفات خاصة رسخّت معالم التوازي كفن مستقل، وبينوا أثره في المعاني والمباني وأقسامه ودلالته التي من شأنها أن تعين الدارس على فهمه ببساطة ويسر، والتوازي علم واسع يشتمل على أنواع متعددة، منها الصوتي والمعجمي(اللفظي) والتركيبي والبنيوي وغيرها.

التعريف بالموضوع:

يقوم البحث على دراسة التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم دون المدنية، فالقرآن المكي له خصائص مختلفة عن المدني؛ لأنه نزل قبل الهجرة، أي في الفترة الأولى من النبوة، فكان أسلوبه أقوى وخطابه أشد؛ لأن غالب المخاطبين مُعرضون مستكبرون، فكان يناسبهم هذا؛ لإثبات الألوهية وتوحيد الله، وإثبات قدرة الخالق، وقوة المحاجة[1]، فكان هذا سبباً في كثرة التقابل والتماثل بين مفرداته؛ لأنه في محل محاجة، التي يكثر فيها المقارنة والإثبات، وذلك في قدرة الله، ومقارنة أمور الدنيا بالآخرة، وبين الحق والباطل، فالدراسة في التقابلات والتماثلات في السور المكية في الألفاظ لا تدخل في موضوع

---

[1] انظر: البريدي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، مكتبة الرشد، الرياض–السعودية، الطبعة الأولى، 2005م، 1426هـ، ص: 666 – 668.

البحث إلا إذا اتصلت بالتوازي التركيبي، فمثلاً لا يتم البحث بين اللفظة إن تقابلت بلفظة أخرى أو تماثلت، إلا إذا كانت هاتان اللفظتان ضمن هذا التركيب المتوازي.

كذلك من الخصائص التي شدّت انتباه الباحث للبحث في السور المكية، هو قصر آيات السور المكية، إذ كثيراً ما يرد في كتاب الله تعالى، خاصة ضمن الآيات القصيرة توافق واضح في التركيب والإيقاع، وهذا يجعل التعبير القرآني متسماً بالسمة البلاغية[1]، إذ يرى الباحث أنه يتناسب البحث في التوازي التركيبي في السور المكية أكثر من المدنية، فقد يقع التوازي التركيبي ضمن المدني ولكن في أواسط الآيات ويغلب عليه البنى المتغايرة غير التامة؛ لطول الآيات وعدم تناسب المقام للتوازي، بعكس القرآن المكي الذي يغلب فيه التوازي التركيبي بين الآيات نفسها؛ لأنه غلب عليه قصر الآيات المكونة من جملة واحدة.

التوازي على المستوى التركيبي أهم أنواع التوازي؛ لأنها تجتمع فيه كلها، فالكلمة لا معنى لها خارج السياق، فالنص يشكّل وحده دلالية قائمة بذاتها، وما الجمل والفقرات إلا وسيلة تحقق تلك الدلالة، من خلال المعاني الجزئية التي تحملها، والتي تؤدي إلى اتساق النص وانسجامه، ولا يحصل لها ذلك إلا بالعلاقة الضرورية بين التركيب النحوي الذي يُنشىء المعنى الدلالي، فالعنصر النحوي يمدّ العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة[2].

يلحظ الباحث في التوازي التركيبي أنه يعتمد على قوة التراكيب والانسجام بين أطرافها، مما يحتاج معه مستوى رفيعاً في الأداء بالنسبة للنص المُراد البحث فيه عن التوازي

([1]) انظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، أصل الكتاب رسالة دكتوراه، الطبعة الأولى، 1992م، ج: 1، ص: 308

([2]) انظر: العربي، عبدالله: بلاغة التوازي في السور المدنية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران، السانيا–الجزائر، 2014–2015م، ص: 49 – 50

التركيبي، ولعلَّ القرآن الكريم يُشكّل موطناً بارزاً، يشتمل في آياته على قدرٍ وافٍ من الشواهد، التي تُجسّد التوازي التركيبي في آياته.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع التوازي التركيبي في القرآن الكريم بدراسات عديدة من قبل الباحثين، فقدم فيه الباحثون دراسات في التوازي، منها (التوازي في القرآن الكريم) لوداد مكاوي حمود الشمري و(التوازي التركيبي في القرآن الكريم) لعبد الله خليف خضير عبيد الحيّاني، وغيرها من الدراسات المثرية، التي استطاعت أن تبسط تجليات التوازي التركيبي في آيات القرآن الكريم، والوقوع على العلاقات القائمة على التوازي بين الآيات، وبيان أثرها في ترابط النص القرآني وتماسكها.

كما لا ينكر الباحث بأنه استفاد من هذه الدراسات السابقة تحليلاً، ومعالجة، وشرحًا وتوضيحًا، فكان ملازمًا إياها، لا يُغفلها في المواطن التي تقدّم فيها الحديث عن التوازي التركيبي، وأثر التوازي العميق في آيات القرآن الكريم، لتكون دراسته جامعة، ناضجة، غير منغلقة، مما يستدعي معها تجنب الثغرات التي وقع فيها السابقون، والأخطاء الملحوظة في النتائج والمنهج، فرغم الجهود المبذولة في الدراسات السابقة التي أرست التوازي التركيبي في القرآن الكريم، إلا أنها كانت قاصرة في مؤداها، عن بيان الأثر الحقيقي للتوازي التركيبي في القرآن الكريم، وليس القصور فيها على سبيل إطلاق الحكم عنوة، إنما استدعاء جملة من الأسباب، فدراسة (وداد مكاوي) في التوازي في القرآن الكريم، دراسة سطحية اهتمت بالجانب النظري من التوازي، وبيان مفهومه وأقسامه دون أن تركّز في دراستها على الجانب التطبيقي، في بيان أثر التوازي ومواطنه في آيات القرآن الكريم، علاوة على ذلك إن دراستها لم تكن مختصة بالتوازي التركيبي، فقد اهتمت بالتوازي بصورة عامة، والمتأمل يلحظ أنها أبدت

اهتمامًا بالتوازي الصرفي والصوتي دون التوازي التركيبي منه، وإن كانت قد تناولت التوازي التركيبي إلا أنها لم تتجاوز حدود الإشارات، والتي استنار بطريقتها عبد الله خليف، إلى وجود التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ولكنّه في دراسته أولى اهتمامًا بمفهوم التوازي التركيبي ببيان مواطنه، فعلى الرغم من أن دراسته كانت تطبيقية في القرآن الكريم عامة، إلا أنه لم يتجاوز فيها إطار الإشارة إلى وجود التوازي التركيبي في القرآن الكريم؛ بدليل أن شواهده لم تتجاوز ثلاثة وثلاثين شاهدًا، وعليه فقد لفت انتباه الباحث دراسة (عبد الله خليف) في التوازي التركيبي في القرآن الكريم، بأنها لم تُشبع الدراسة في السور المكية من القرآن الكريم، رغم أنها أنسب في البحث في هذا الموضوع من السور المدنية؛ لقصر آياتها مما يجعل الترابط النصي فيها أمكن وأبين، لذا آثر الباحث في دراسته أن تكون مختصة في الآيات المكية من سور القرآن الكريم، والتي تناول فيها التوازي التركيبي ووظائفه، وكذلك أثره على المستوى الإيقاعي والجمالي والصوتي بمؤداه الدلالي والانسجام بين الأصوات، والألفاظ، معنى ومبنى، ومدى الترادف بينها والتضاد، وصولاً إلى بعض أسرار القرآن الكريم، ومواطن إعجازه وتفسيراته والتوجيهات النحوية التي تشكل فروعًا للمعاني.

أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع

تتمحور أهمية الدراسة في جوانب أربعة:

الأول: أن التوازي التركيبي يُشكل ظاهرة في القرآن المكي من شأنها أن تلفت الانتباه نحو المتواليات من القرآن الكريم والاتساق الإيقاعي في الأبنية والمعاني والتوجهات الدلالية.

الثاني: أن الدراسات السابقة في التوازي التركيبي في القرآن الكريم لم تحط بالموضوع بأكمله ولم تكن مختصة محددة وإنما تناولت الموضوع بصورة عامة أرادت الإشارة دون التعين.

الثالث: أنه عند البحث في التوازي التركيبي في القرآن الكريم تجد أن السور المكية تشتمل على أنماط متعددة من أشكال التوازي؛ وذلك لقصر الآيات فيها وقرب الفواصل القرآنية مما يجعلها حريّة بالدراسة.

الرابع: وهو الأهم بيان وجهٍ من أوجه الإعجاز القرآني يتمحور بالإعجاز اللغوي الكائن في التوازي التركيبي مفاده سبر الشواهد الدالة على التوازي، وبيان ما أضفاه التوازي فيها من محسنات وجماليات.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إظهار ما يأتي:

1- بيان مواطن التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم.

2- بيان دلالة التوازي التركيبي ودوره في الكشف عن المتواليات والاتساقات اللغوية في السور المكية من القرآن الكريم.

3- الكشف عن مدخل جديد للعلاقات المتحدة في تشكيل النسق القرآني.

لذا تحاول الدراسة أن تجيب على الأسئلة الآتية:

1- ما دلالة التوازي التركيبي في القرآن الكريم؟

2- كيف يظهر التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم؟

3- ما مدى كشف التوازي التركيبي عن المتواليات والانسجام الإيقاعي على صعيد الألفاظ والجمل في السور المكية؟

4- هل يمثل التوازي التركيبي وجهاً من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم؟

5- هل يمثل التوازي التركيبي مدخلاً جديداً لتلك العلاقات المتحدة في تشكيلة النص القرآني؟

خطة الدراسة:

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في استقراء مواطن التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم، والذي قسّمه الباحث إلى مقدمة: تمهيد، وثلاثة فصول، وملخص، وخاتمة، بطريقة تحدثت فيها على النحو الآتي:

التمهيد: تناول الباحث فيه الجانب النظري للتوازي القائم على مفهوم التوازي لغة واصطلاحًا، والتطور الدلالي للتوازي بين القديم والحديث وأنواع التوازي ومفهومها، وهي: التوازي الصوتي والتوازي الصرفي، والتوازي التركيبي، وقد أسهب الباحث في الحديث في التوازي التركيبي، مفهومًا، وأهمية، والغاية منه، والبُنى المتشابهة والمتغايرة فيه، والدوال التي يقوم عليها، وهي دالة الترادف، ودالة التضاد، ودالة التأليف، انتهاءً إلى أثر التوازي التركيبي في إنتاج الدلالة.

الفصل الأول: تحدث الباحث فيه عن التوازي التركيبي في الجملة الاسمية في السور المكية من القرآن الكريم، ابتداءً من أركان الجملة الاسمية الأساسية: المبتدأ والخبر، وثم الانتقال إلى نواسخ الجملة الاسمية التي كانت على ضربين، الضرب الأول: يبحث في نواسخ فعلية "كان" وأخواتها، أما الضرب الثاني: فيبحث في النواسخ الحرفية "إن" وأخواتها، فخُتم الفصل بالحديث عن "كاد" وأخواتها.

الفصل الثاني: تناول الباحث فيه التوازي التركيبي في الجملة الفعلية في السور المكية من القرآن الكريم، ابتداءً من الجملة الفعلية لازمة الفعل، ثمّ الجملة الفعلية متعدية الفعل، ثم

الانتقال إلى المتغايرات من التوازي التركيبي في الجملة الفعلية بين لازمة الفعل والمتعدية، وبعد ذلك التوقف عند التوازي التركيبي في الجملة الفعلية متعدية الفعل إلى مفعولين، ثم التوازي التركيبي في المنصوب على الاشتغال، ثم التوازي التركيبي في الأسماء التي تعمل عمل فعلها، خلوصًا إلى التوازي التركيبي بين الجملة الاسمية والفعلية.

الفصل الثالث: تناول الباحث فيه التوازي التركيبي ضمن الأساليب النحوية، بعرض عنوانات فرعية، تمثلت بـــالتوازي التركيبي في الاستفهام، وفي الشرط وجوابه، وفي النهي والنفي، وفي أسلوب النداء.

الخاتمة: وقد تضمنت حجم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

وأخيراً من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فإنني مدين بوافر الشكر لأستاذي الدكتور سالم الهدروسي على ملاحظاته الغزيرة وتوجيهاته السديدة، التي كان لها أعظم الأثر في إنجاز هذا البحث، فما أصبت فبتوفيق الله ثم بتوجيهاته وملاحظاته، وما أخطأت فقدري أنني اجتهدت والكمال لله.

التمهيد

يعد التوازي من الموضوعات التي لقيت عنايةً عند العلماء وهم فيها على اختلاف، وقد قدّم كلٌ منهم وجهته، مدعمًا إياها بأدلةٍ وبراهين تثبت صحة ما آل إليه، والبحث بصدد هذه الرسالة العلمية يحاول أن يعرض لهذه الآراء بشكلٍ موجز، بعد أن يتناول مفهوم التوازي.

التوازي لغةً:

أخذ مصطلح التوازي من المادة اللغوية (وَزَيَ) وتحمل في معناها دلالة المحاذاة والاجتماع والانقباض[1]، ويقال للقصير: وزى، والمستوزي: المنتصب المرتفع، والموازاة: المقابلة والمواجهة[2].

الناظر المتأمل في المعاني المعجمية بلفظة التوازي، يجد أنها تشترك في معنى المقابلة والمواجهة، وعليه، فليس الاختلاف في الدلالة، ما دامت الألفاظ ترتبط بمعنى عامٍّ مشترك.

والتوازي لا يختلف عن كونه المقابلة والمواجهة، إذ أنه في كلتا الحالتين لم يعرض لذكره في القرآن الكريم، باللفظة ذاتها (التوازي) ومتغيراتها اللفظية، أي الاشتقاقية، إلا أن المتتبع يلحظ ورودها في الحديث النبوي الشريف، عن ثعلب بن زهدم قال :"كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صلاة الخوف؟

---

[1] انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ ، 1993م، ج: 15، ص: 391.

[2] انظر: أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1392، ج: 6، ص: 107.

فقال حذيفة: أنا، فقام فصف الناس خلفه صفين ، صفاً خلفه ، وصفاً موازٍ العدو، فصلى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة ولم يقضوا"[1].

التوازي في الحديث الشريف السابق، تضمّن في معناه دلالة التوازي على المقابلة والمواجهة؛ أي مقابلتهم العدو.

وقليل الحديث، أوكثيره، لا يسمن مفاده في اقتباس معانٍ مغايرة لمعنى التوازي لغةً، ليقف الباحث عند هذا الحد.

التوازي اصطلاحاً:

يعد التوازي اصطلاحاً من المفاهيم التي لقيت رواجاً في التعريفات، فالتوازي هو: تماثل قائم بين طرفين في الفصيلة اللغوية ذاتها، والطرفان بمفهومهما يحملان مفهوم الجملتين اللتين خصصتا بالبنية ذاتها، ترتبط كل منهما برديفتها بعلاقة قوية، أساسها التشابه، أو التضاد[2].

وقد عرفه آخر بأنه: تشابه البنيات واختلاف في المعاني[3].

يبدو في هذا التعريف أن صاحبه أخرج التوازي الدلالي من دائرة التوازي العام، وجعله مختصراً على البنية الصوتية والصرفية والنحوية، دون دلالة، وبهذا لا يكتمل رأس الهرم، ورأسه كامن في الدلالة، فإن كان صاحب التعريف قد أوجز الكلام، إلا أنه قد ضيق واسعاً وأضل قائماً.

---

[1] انظر: الحياني، عبد الله خليف خضير عبيد، التوازي التركيبي في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل في العراق، 2004م، 1425هـ، ص: 6.

[2] انظر: كنوني، محمد، التوازي ولغة الشعر، بحث منشور في مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، ع 18، 1999م، ص: 79.

[3] مفتاح، محمد، مدخل إلى قراء النص الشعري، مجلة فصول، مج 16، 14، 1997م، ص: 259.

فالتعريفان السابقان يبدو أن أصحابها في توجيهاتهم تناولوا التوازي في زاوية واحدة فقط، وهي التماثل سواء أكان بالتشابه أو التضاد، والتشابه مقرون بالبنية، أما التضاد فمادة الدلالة، ومما ينبغي التنويه إليه أن هذه التعريفات تفتقر إلى زاوية أخرى مكافأة إلى تلك التي ذكروها، وهي جانب المقابلة والجانب الإيقاعي والتناسقي للألفاظ والجمل.

وهذا يجعلنا نقع على التعريف الذي يحمل التوازي على أنه: النسق التقريبي والمقابلة بين محتويين أو سردين للبرهنة على تشابههما أو اختلافهما، وذلك بالتركيز على التطابق والتعارض بين الطرفين بوساطة معاودات إيقاعية أو تركيبية[1].

على أساس جمع التعريف السابق بين البنية التركيبية والإيقاعية جعله الباحث التعريف الأمثل من بين التعريفات، وكذلك أن الموازاة تعني المقابلة والمواجهة، فلا يمكن إهمال الجانب التقابلي؛ فالتوازي لا يتضمن التماثل فقط، بل فيه تقابل وتماثل.

هناك من ذكر الفرق بين التقابل والتماثل، وذلك بأن التقابل هو: المواجهة، والتماثل هو: المشابهة والمشاكلة، ثم أدرج تحت التقابل عدداً من المفردات تشير لمعنى المواجهة وهي: المطابقة أي: الاتفاق بالمثل أو بالخلاف، وكذلك أدرج مفردة التكافؤ، ولها معنيان هما: التماثل والتساوي أو التقابل بالخلاف، وأدرج أيضاً التضاد اللفظي والمعنوي بين الضدين، وكذلك التناقض أي: مقابلة الشيء بنقيضه، والمخالفة أي: تقابل الشيء بالشيء على وجه الاختلاف، وذكر أن المماثلة نوعان تامة وجزئية بين الشيئين[2]، فهذه المفردات جميعها من مفهوم لفظة التوازي.

---

[1] نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت – لبنان، ط 1، 1982م، ص: 229.

[2] انظر: القرعان، فايز عارف، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان وقياس الرأي العام، إربد– الأردن، ط 1 ، 1994م، ص: 16 – 19.

التطور الدلالي للتوازي بين القديم و الحديث:

تطّور التوازي كدلالة بين العلماء؛ نظراً لاختلاف الأفكار والوجهات بينهم، واختلاف الكلمات باعتبار توجهاتهم، فمن كان مختصاً بالنقد تناولها بصورة نقدية، ومن كان مختصاً بالبلاغة تناولها بلاغية، وليس من بينهم مخطئ أو مصيب، بل هي وجهات نظر مختلفة.

والتوازي عرف قديماً عن العرب، وليس بأدل عليه مما ذكره قدامة بن جعفر(ت337هـ): وأحسن البلاغة: الترصيع والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن..... والتوازي، وإرداف اللواحق، وتمثيل المعاني[1].

وقد عوّل عبد الله خليف الحياني على نص قدامة، وفند ما ذهب إليه موسى ربابعة بقوله: "لم تذكر كتب النقد والبلاغة القديمة مفهوم التوازي بنصه وحرفه"[2]، وفند ذلك بقوله: "وهذا ينفي ما ذهب إليه موسى ربابعة، غير أن كلام قدامة ابن جعفر، جاء كلاماً عاماً تحدث فيه عن البلاغة، وذكر قوانين تتعلق في المعاني والأخرى في الألفاظ ولم يحدد مفهوم التوازي"[3].

والظاهر لدى المتأمل الباحث أن الربابعة قصد المفهوم الاصطلاحي للتوازي ولم يرد التوازي كلفظة، وهذا ما يجعله بريئاً مما وقع به من تخمين عبد الله خليف، بأن قدامة ذكر التوازي عاماً كلفظة، ولم يرد بها مفهوم التوازي.

([1]) انظر: أبي الفرج، قدامة بن جعفر (ت337ه)، جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيرون–لبنان، ط 1، 1399ه – 1979 م، ص: 3.

([2]) ربابعة، موسى، ظاهرة التوازي للقصيدة الخنساء، مجلة دراسات، مج 22 (أ)، 54، 1995م، ص: 2029.

([3]) انظر: الحياني، التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 8.

وذهب بعض العلماء إلى أن التوازي قسم من أقسام السجع، إذ قال النويري (ت 733هـ): " والسجع أربعة أنواع وهي: الترصيع، والمتوازي، والمطرف، والمتوازن"[1].

وبهذا التقسيم يتبع النويري من سبقه من العلماء كأبي هلال العسكري[2]، وابن الأثير[3]، ممن انتهجوا هذا التقسيم، بأن عدوا التوازي أحد أقسام السجع.

وقد بيّن النويري مفهوم هذه الأقسام، ومثّل لها بآيات من القرآن الكريم، ومايهم الباحث منها مصطلح المتوازي، وهو أن يراعي بالكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الأخير منها[4]، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾[5].

وعليه، فالمتوازي يحاذي ما تؤديه القافية في النماذج الشعرية إلا أن المتوازية في النثر، والقافية في الشعر[6]، الرابط بينهما ما تمليه من وظيفة جمالية أحدثتها التلازمية بمبدأين، وهما: مبدأ التجانس الصوتي، أي اتفاق الفواصل في الحرف الأخير، ومبدأ التجانس الخطي، أي اتفاق الفواصل في الوزن[7].

([1]) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733) نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس الجامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، ج: 7، ص: 104 – 105.

([2]) انظر: العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل (ت395هـ)، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: د. مفيد قميمة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1404هـ – 1984م، ص: 287.

([3]) انظر: ابن الأثير، ضياء الدين (ت637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشعار، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1403هـ،1981م، ج:1، ص: 389 – 399.

([4]) انظر: نهاية الأرب، ج: 7، ص: 104.

([5]) سورة الغاشية، آية: 13– 14.

([6]) انظر: كنوني، التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، ع 18 ، 1999م، ص: 80 – 81.

([7]) انظر : المرجع السابق، ص: 80 – 81.

لم يكن العلماء جميعهم متفقين على التقسيم الذي ورد سالفاً، أما قدامة بن جعفر، فقد أخذ بالمعنى اللغوي للتوازي، والتوازي في اللغة هو المواجهة، والمقابلة، فقال :" أهل الرأي والنصح، لا يساويهم ذوو الأفن والغش، وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة، كمن جمع إلى: العجز الخيانة"[1]. فالناظر في كلام قدامه يلحظ أنه اعتمد المقابلة بين أهل الرأي والنصح بذوي الأفن والغش.

وللتوازي غير استعمال، كأن يكون السجع، بمعنى التعادل، أي التساوي، كقول العسكري: "والسجع على وجوه..... فمنها أن يكون الجزآن متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على الحرف عينه"[2]. فالعسكري في كلامه هذا جعل المتوازي يُرادف التساوي، والتساوي في القرآن يكون بالفواصل القرآنية، إذ لا زيادة أو نقص بين المتوازيين.

وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير، ولعله في ذلك ينتهج منهج العسكري في استعمال التوازي بمعنى التساوي، فلعل التوازي من الموضوعات التي تتشابك في مفهومها بغيرها، فقد يتداخل مع الترصيع أو كما عده السيوطي بالتداخل مع التماثل، إذ يقول :"فهو – أي التماثل– إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي[3]".

وبعد تقديم رؤية تكاد تكون واضحة، تعبر عن التصور الذي ارتآه كل عالم على حدة، أو بالمقارنة مع غيره، نلحظ اختلافاً للتصورات لديهم، مما يصعب على الباحث أن يصل إلى مفهوم واحد للتوازي.

([1]) أبي الفرج، جواهر الألفاظ، ص: 5.

([2]) العسكري، كتاب الصناعتين، ص: 287.

([3]) انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج: 1، ص: 398.

فالتوازي: أن تتفق الفاصلتان الأخيرتان وزناً وتقفية، أما الترصيع فهو: أن تتفق الفاصلتان وزناً وتقفية ولكن في حشو البيت، أما المتوازن فهو: أن تتفق الفاصلتان الأخيرتان في الوزن من دون التقفيه، أما التماثل: أن يتساويا في الوزن من دون التقفية في حشو البيت[1].

وقد اتسع مفهوم التوازي عند النقاد المعاصرين في دراساتهم ليصبح أكثر دقة وارتباطاً بالأسلوبية ولغة النص، وقد كان قديماً جزءاً من السجع، إلا أن السجع يندرج تحته الآن، وأصبح التوازي علماً بذاته، وله مفهومه ومحدداته، فالتوازي هو: "تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج أو شطري البيت الواحد، من حيث الإيقاع والوزن، أما التوازي فهو أن يستمر هذا التوازن في النص كله، كالذي نجده في قصيدة شعرية، حيث يتكرر إيقاع كل شطر منهما في كل بيت ويستمر حتى نهايتها، بحيث يكون الجناح الأيمن من القصيدة يوازي جناحها الأيسر من حيث الوزن والإيقاع"[2].

وبهذا فإن التوازي أصبح جامعاً لظواهر مختلفة، إذ تجد فيه انسجاماً بين السياق والأساليب وانسجاماً إيقاعياً بارزاً كما هو الحال في النثر والشعر.

والتوازي يتشكل من مجموعة نتائج صوتية وإيقاعية، كما هو حال النبر الذي يتضمن تحركات صوتية صعوداً وانخفاضاً، وقد رأى بعض الباحثين أن التوازي ضربٌ من التكرار دون أن يشترطوا به تكراراً كلياً [3].

([1]) انظر: السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، 1394ج: 4، ص: 356.

([2]) ناجي، د. مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 1404 ه – 1984 م، ص: 59

([3]) انظر: الزمر، د. أحمد قاسم، معالم أسلوبية عند ابن الأثير في كتاب المثل السائر، مجلة المورد، ع 2، 2002م، ص: 36.

والتكرار قد يكون في بعض الكلمات من خلال الحروف التي بدورها قد تؤدي إلى تكوين المعاني والدلالات، فللصوت دور في تحقيق الإيقاع والموسيقى للنص، والمراد بالصوت تكرار حرف من نمط معين، كما أن ترابط الحروف مع بعضها يحدث صوتاً موسيقياً، وطريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف، باعتبار مخارجها، وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها[1].

وبقي أن يورد الباحث أنواع التوازي، وله أنواع عدة، فمنهم من حدد عدة أنماط لمفهوم التماثل والتقابل، وقد تنطبق هذه الأنماط على أن تكون أنواعاً للتوازي بشكلٍ عام، وكانت الأنماط هي: النمط البسيط أي: على مستوى الكلمة، ثم النمط المركب أي: على مستوى الجملة، ثم النمط المعقد، وهو نمط يجمع أشكال التداخل، بحيث يجمع أكثر من نمط[2]، ولكن هذا التوزيع لا يخدم موضوع التوازي بشكلٍ عام، وقد يتناسب تقسيم التوازي مع مستويات اللغة، الصوتي والصرفي، والتركيبي، والدلالي؛ لأن التماثل خاصية شاملة وتركيبة تشمل جميع المستويات[3].

التوازي الصوتي:

يتحقق المستوى الصوتي بدوره المهم الذي يقتضيه تحقق الإيقاع الموسيقي، والذي من شأنه أن يضفي تعبيراً جمالياً بالنص القرآني.

والقرآن الكريم هو كلام الله المنزل المحفوظ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكل صوت فيه لا بد أن يكون له معنى ودلالة، أضافة إلى السمة الجمالية التي

---

[1] انظر: رواشدة، سامح، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، جامعة مؤتة – قسم اللغة العربية، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد 16، الرافعي، ط 9، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان 1973م، ص: 214.

[2] انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 78 – 79.

[3] انظر: كنوني، محمد، اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد، دار دجلة، عمان–الأردن، 2013م، ص: 200

يؤديها تناغم الأصوات "كل كلمة تتألف من عدد من الحروف وأن جمع حرف إلى آخر يؤلف معنى محدداً، وأن أي زيادة على حروف الكلمة الواحدة أو نقصان يغير معناها"[1].

فتآلف الأصوات وانسجامها في النصوص القرآنية تحدث إيقاعاً، والإيقاع يشكل جرساً تناغمياً، فكما أن لكل صوت مخرجه الذي يميزه عن غيره، فله جرسه الخاص به، واختلاف باختلاف مخارج الأصوات وصفاتها، ولعل تآلف الأصوات فيما بينها وتوافقها من شأنه أن يحدث التناغم في النص القرآني، والتكرار ليس مدعاة للتكرار دون الفائدة، إنما للتكرار في القرآن معان ودلالات ترتبط بالموقف الذي نزلت به الآيات.

فالقرآن الكريم معجز في كل آياته، والتوازي من ظواهره الإعجازية، ومن الشواهد التي تسوق لنا الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍ﴾[2]، فالتوازي الصوتي في صوتي الصاد والراء في قوله (صرصراً)، فالصاد في مخرجه قد يمثل هدوءاً و سكوناً، وهذا الهدوء والسكون ما يكون قبل العاصفة، ثم تلاه تكرارٌ للصوت المجهور، وهو صوت الراء "وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافي للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه"[3]. ليصور لنا حالة التشنيع بالقوم المعذبين، فكما أن تكرار الراء توسطه صوت الصاد،

---

[1] الجيوسي، عبدالله، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ط 2 ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، 2007، ص: 220

[2] سورة القمر، آية: 19

[3] ابن قنبر، أبي بشر عمرو بن عثمان، الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1982م، 1402هـ، ج: 4، ص: 435.

فهذا يصور لنا الريح وقد بدت متقطعة في ظهورها على الأقوام المعذبين، فالتوازي جاء بين صوتي الصاد والراء، فالأول مهّد الموقف بالهدوء والسكون، والآخر صور التشنيع بالعذاب.

التوازي الصرفي (اللفظي):

وينتج التوازي اللفظي بتكرار اللفظ، وتكون هذه الألفاظ "بنى لفظية ذات صفات مشابهة"[1].

فالتوازي جرسٌ يتحقق بتكرار الألفاظ هو "أداة التأثير الحسي بما يوحيه من السامع باتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير"[2].

والباحث يلحظ قيمة التوازي اللفظي وأهميته في درس التوازي، فبتكرار الألفاظ تتشكل الدلالات، وبها يتحقق تجانساً وإيقاعاً ينسجم مع النص القرآني ويعبر عنه، وللتكرار بالألفاظ ارتباط وثيق، كما يقول على الإيقاع بالبنية التكرارية "فاللفظ المكرر هدفه إثارة النفس ومشاعرها وتحريكها، والتكرار بذلك مرتبط بقانون التردد"[3].

فالإيقاع بالتجانس في النص القرآني المرتبط بالتكرار يسهم في خلق التوازي، ويكون هنا معتمداً البنية اللفظية التي تشترك بصفات مشابهة.

والوحدات المتكررة تعتمد على المماثلة في خلق التوازي الصرفي الذي يقوم على تكرار الألفاظ كما يقوم على ما تصغيه المماثلة، فتكون المتوازيات لها نكهة إيقاعية والوحدات اللفظية التي تحتوي على طاقات دلالية[4]، فهذه الوحدات اللفظية التي تشكل بنية منتظمة مع ما تضيفه المماثلة يتشكل الانسجام الذي يؤدي بدوره إلى خلق التوازي.

---

(1) رواشدة، التوازي في شعر يوسف لصائغ و أثره في الإيقاع والدلالة، ص: 12.

(2) هلال، ماهر مهدي، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث النقدي عند العرب،(د.ط)، دار الرشيد للنشر، دار الحرية، بغداد،1980م، ص: 19–20.

(3) يوسف، مراد، مبادئ علم النفس، ط 2، دار المعارف– القاهرة، 1974م، ص: 221–225.

(4) انظر: المشهداني، فائزة محمد محمود، مستويات الخطاب في القصة القرآنية، (أطروحة) مقدمة لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في الأدب العربي ، كلية التربية– جامعة الموصل، 2004م، ص: 79.

تقابل الكلمة بكلمة أخرى أو تماثلها، يصنفه بعض الباحثين في مفهوم التقابل والتماثل تحت النمط البسيط، سواء كان هذا تقابل تضاد أو تماثل، لفظياً أو معنوياً، أو تقابل تخالف[1]، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون﴾[2]، فهنا وقع التقابل المتضاد بين اللفظتين(السيئة، الحسنة) وكذلك بين(الضراء، السراء).

التوازي التركيبي:

التوازي التركيبي هو موضوع البحث، والذي سيكون البحث فيه بالسور المكية من القرآن الكريم، فكان من أسباب اختيار القرآن المكي هو خصائصه التي لفتت انتباه الباحث حتى رآها أنسب الأماكن للبحث فيها من خلال هذا النوع من التوازي، ولكن قبل البحث في التركيبي لا بُدَّ من ذِكرِ نبذة مختصرة عن التوازي الدلالي الذي يمثّل النوع الرابع من أنواع التوازي.

يتكون التوازي الدلالي بارتباط المعاني مع النص المراد بالقرينة المعجمية، وذلك أن البحث عن الدلالة يكون مرتبطاً بما يوفره السياق من فضاء تأويلي واسع، وهذا يعني الاتجاه نحو اعتماد المدونات التطبيقية للعمل النقدي، يكاد يكون كلياً [3].

وعلى الباحث أن يقوم باستقصاء ملامح الدلالة في النصوص الأدبية عامة بطريقة غير مباشرة " المدلول المباشر لمعظم الألفاظ وخاصة في الشعر مدلول مفعم بالالتباس؛ فنحن

---

[1] انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 78 – 79.

[2] سورة الأعراف، آية: 95.

[3] انظر: بديدية، يوسف، جماليات التوازي في شعر نزار قباني– نحو مقاربة سيميائية أسلوبية– رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه االعلوم في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها' وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الحاج، 2013م، ص: 213.

نستطيع أن نفهم منها متى شئنا، مدلولات شتى. والمدلول الذي نشاء أن نختاره هو المدلول الذي وافق الدوافع التي ولدها شكل الشعر فنيا"[1].

كان هذا الموجز عن التوازي الدلالي، أما عن التوازي التركيبي: فهو يقوم على البنية المكونة للتركيب النحوي، والتركيبي في مؤداه الوظيفي أشمل من التوازي الصوتي واللفظي معاً، لأن التجانس الإيقاعي فيه يكون على نحو أعم و أشمل بحيث يكون أكثر نضجاً.

مفهوم التوازي التركيبي:

تقوم الوحدات الكلامية فيه على أساس بنيوي ترابطي، إذ يمتنع أخذ أي وحدة كلامية لوحدها، لأنها جميعها تكتسب قيمتها الدلالية بمجاورتها بوحدات أخرى، فينشأ عنها صيغ دلالية وتكون تابعة للسياق الذي ترتبط به.

الكلمة تكون محققة لذاتها في فعاليتها في السياق، فمعنى الجملة ليس إلا مجموع التأليفات المتحققة لكلمة ما، وإن البنية المتشكلة في النمط التركيبي المناسب تتوزع فيه الأدوار الوظيفية للكلمات بمقتضى دلالتها، إذ يتأثر المعنى الدلالي بنوع البنية التشكيلية ويرتبط بها، وموقع الكلمة بالجملة يكشف عن حقيقة المعنى، لأن المعنى اللغوي تختلف نتيجته لنوع الوحدات الداخلة في التركيب ولمواقعها، فاختلاف البنيات التشكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلاليّ وفقاً لحالات الاستعمال[2]، وبالاعتماد على هذا، يُفهم منه أن التوازي التركيبي ليس وحدة كلامية مستقلة بذاتها، فهو لا يمكن أن يتحرر من وحدة السياق ، والبنية الدلالية.

([1]) رتشاردز، العلم والشعر، تر: د. مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ص: 29.

[2] انظر: الحديثي، د. هدى محمد صالح، المستويات الدلالية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الأدب 584، 2002م، ص: 221 – 222.

تمثل الجملة الوحدة الأصغر في تكوين النص، فالنص وحدة تواصلية كبرى، يليها في الصغر الجملة، والجملة مكونة مجموعة من الوحدات الكلامية والكلمات، هذه الوحدات الكلامية تحمل معنى خاص بها، ومجموع هذه المعاني المتضامنة إلى بعضها بعضاً تشكل معنى تلك الجملة، ومجموعة المعاني المرتبطة بالجملة ذاتها تشكل معنى واسعاً يحمل الطابع العام للنص بأكمله فلا يمكن الحكم على معنى الكلمة الصغرى إلا بالنظر إلى سلسلة العلاقات الناظمة بينها وبين سائر الوحدات الكلامية في الجملة ذاتها، وبالنظر إلى مجموعة تلك الجمل المكونة للنص بأكمله، فإن المعنى رهين هذه العناصر كلها[1].

ثمة تبادل في العلاقات بين العناصر التركيبية النحوية، والعناصر الدلالية في الجملة، فإن علاقة الوحدات الكلامية في الجملة الواحدة قائمة على أساس من التكامل التركيبي، فإن المعاني تنطلق من التركيب، إذ لا بد من استمداد تلك المعاني من خلال العلاقات التركيبية النحوية الناظمة للجملة، وهذا كله يشير إلى ذلك التوازي الأفقي بين تلك الوحدات الكلامية، والتوازي الأفقي لا يأتي إلا من خلال العلاقات التركيبية النحوية بين العناصر الجملية المختلفة[2].

ولعل "رومان ياكبسون" في دراسته حول التراث الشفوي للشعر الروسي التفت انتباهه إلى التنظيم الداخلي والى التوازي الذي يجمع بين الأبيات المتجاورة، ولم ينكر "ياكبسون" أنه استوحى هذه اللفتة من "هوبكنز"، إذ يرى أن اللغة الأدبية تخضع إلى التوازي الذي يربط بين الأبيات المتجاورة، فتنتج عنه المقابلات التوزيعية، بالإضافة إلى الكثير من العلاقات على

([1]) انظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، 1998م، ص:13، وحميدة، مصطفى: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، دار نوبار للطباعة، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1997م، ص: 130.

([2]) انظر: عبد اللطيف،. محمد حماسة: النحو والدلالة مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة– مصر،الطبعة الأولى، 1983م، ص: 115.

المستوى الفني والدلالي، وقد مضى في تفكيره إلى ما هو أقصى من ذلك بما رأى في التشابه والاستعارات والمقارنات والموازنات وحتى القافية انعكاساً لهذا المبدأ[1]. وبالتالي فـ"رومان ياكبسون" قدّم التوازي من خلال الوظيفة الشعرية؛ فهو عني بالتوازي من خلال نظرية متكاملة، بما حوته من أدوات التواصل ووظائف اللغة، التي تنطوي على الوظيفة الأدبية.

ينظر ياكبسون إلى هذه الوظائف على أنها تمثل مختلف جوانب الرسالة التي تكون بين بني البشر من مرسل ومستقبل ورسالة وشكلها وبنائها هي بدورها تخضع للوظيفة المحورية المهيمنة، فالوظيفة الشعرية ليست سوى عنصر في بنية معقدة، إنما هي عنصر يحدد على العناصر الأخرى وبغيرها الاضافة إلى عملها ونظامها[2]، فياكبسون يرى في الوظيفة الشعرية عنصراً أساسيا موجهاً، مؤثراً لا ثانوياً تابعاً في الرسالة ومؤداها، والوظيفة الشعرية تظهر عنده "عن طريق العلاقة التي تقوم بين المحورين الأساسين في الخطاب، وهما علاقة الاختيار وعلاقة التركيب (التأليف)، وعلاقات التأليف تتحرك أفقياً وتعتمد على التجاور بين الوحدات المؤلفة، وهذا بحكم الصلة بين الوحدات إذ تكون صلة تأليف تبادلية أو صلة تنافر مما يجعل التأليف ممكناً أو غير ممكن، فكلمة (جاء) على صلة تآلف تبادلية مع (الرجل) مما يمكننا من التأليف بينهما فنقول: (جاء الرجل). لكن كلمة (جاء) تتنافر مع فعل آخر مثل (غاب) ولا نستطيع أن نؤلف بينهما فنقول: (جاء غاب) ولذا فإن الكلمة تؤسس وظيفتها بعلاقتها بمجاورتها مما سبق عليها ومما لحق من الكلمات. وهذه العلاقة تتكون بشكلٍ تدريجي مع كل كلمة تبرز في الجملة لتكون أخيراً مجموعة علاقات تجاورية وهي وظيفة الوحدة"[3].

يبدو أن "ياكبسون" سعى من خلال الوظيفة الشعرية بلا تحديد دوال التوازي التركيبي القائمة على الترداف والتضاد.

([1]) انظر: ياكسون، رومان، قضايا شعرية، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء– المغرب، ط 1 1998م، ص: 88.

([2]) انظر : بركة، بسام، المنهجيات اللسانية في تحليل الخطاب الأدبي، مجلة الفكر العربي، ع 87، 1997 م، ص: 226

([3]) الحياني، التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 20

ومن خلال دراسات "ياكبسون" قام "سمويل" بتأسيس نوع خاص للغة الشعرية يمارس فعله في مساحة أوسع من الجمل، حيث تبدو مؤشرات التعلق النحوي من أولى الأسس القائمة في تشكيل وحدة النص.[1] إن نحو الجملة يكون قد تجاوز به سمويل إلى نحو الخطاب باعتماده على مبدأ التماثل؛ ذلك أن التماثل لا يقوم على مستوى واحد فقط بل يشتمل على جميع مستويات اللغة سواء كانت صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية.

فمن خلال ما ذُكر، يمكن القول إن مفهوم التوازي التركيبي يتعلق بسلسلتين متواليتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو اختلافات إيقاعية، وصوتية، ومعجمية دلالية، وبذلك يكون التوازي التركيبي: تأليفاً لمجموعة من الثوابت والمتغيرات، فالثوابت عبارة عن تكرارات خالصة، في مقابل المتغيرات التي هي بمثابة اختلافات خالصة، فالموازاة تأليف ثنائي، والموازاة تعادل –تماثل، وليست تطابقاً، إلا أن مفهوم التماثل، إضافة إلى ذلك، يمحو بطريقة ما عدم التساوي بين طرفين[2].

وظيفة التماثل الموقعي:

اهتم ليفن بذلك، وميزه بين نمطين من المتماثلة موقعياً، وهما: التماثل بين مواقع متقابلة والتماثل بين مواقع متوازنة [3].

التماثل بين مواقع متقابلة، يكون في التحولات المنقلبة ما دامت هذه السلسلة ترتبط بمركب واحد، بينما تُعرف المواقع المتوازنة انطلاقاً من التركيب، حيث تتزاوج الأطراف بأدائها الوظيفة النحوية نفسها، فيقول "ليفن": إن البنية التي تحتل فيها الأزواج المتماثلة تماثلاً طبيعياً مواقع متوازنة أقوى من تلك التي تحتل فيها الأزواج مواقع متقابلة وحسب[4]، وللتدليل على ذلك، يذكر الباحث بعض الأمثلة، كقوله في قصيدة (ولادة في التحرير):

([1]) انظر: كنوني، التوازي ولغة الشعر، ص: 85.

([2]) انظر: ياكبسون، قضايا شعرية، ص: 103.

([3]) انظر: ليفن، سمويل: البنيات اللسانية في شعر سمويل، ترجمة: الوالي محمد، والتوازني خالد، منشورات الحوار الأكاديمي، المغرب، ص:33.

([4]) انظر: كنوني، اللغة الشعرية، ص: 201 – 202.

للشارع الضيق. . للساحة. . للراكض في الساحة.

للسيدة الضاحكة. .

للأم التي تسكن فجر الوطن الوردة،

للشيخ الذي يغرق في قيلولة بيضاء

للطفل وللقصيدة

احتكمت[1].

هذا المقطع فيه تقديم وتأخير؛ لما تفرضه العروض من ضرورات على ترتيب الكلمات، فهو من هذا الترتيب المقلوب تجاوز حدود الجملة ليحتل مساحة أوسع؛ نظراً لما يشتمل عليه من تماثل بين مواقع متوازنة، وبين مواقع متقابلة، فهي متوازنة لعناصر المركبات الاسمية المقدمة (الجار والمجرور)، ومتقابلة لارتباطها بمركب فعلي واحد (احتكمت) [2]، وذلك على النحو التالي:

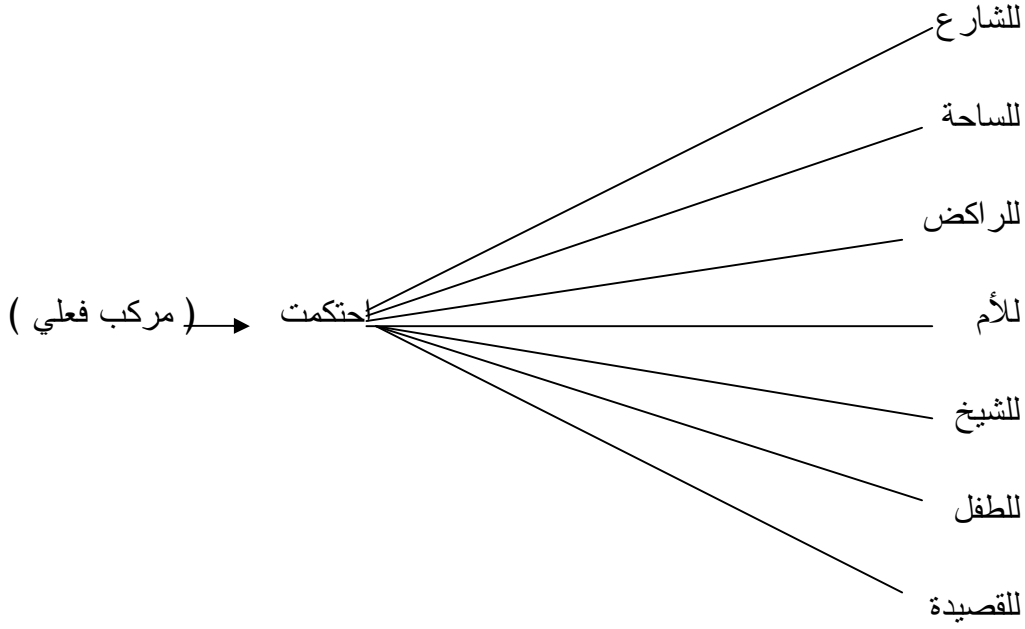

([1]) انظر: كنوني، اللغة الشعرية، ص: 201.

([2]) انظر: المرجع السابق، ص: 201 – 202.

أنواع التوازي التركيبي من حيث البنى:

ينقسم التوازي التركيبي من حيث البنى إلى قسمين، إما بنى متشابهة وإمّا بنى متغايرة.

توازي البنى المتشابهة:

يقوم هذا النوع من التوازي على تشابه الوحدات الكلامية ضمن السلسلة اللغوية، وأساس قيام هذا التوازي هو الاستناد إلى بنى صرفية ونحوية منتظمة[1]، ومنهم من يسمي هذا النوع بـــ (التوازي التركيبي التام)؛ لأن التوازي يعني المماثلة، والمماثلة إما أن تكون تامة، ويكون الشيء مماثلاً تماماً للآخر، وإما أن تكون جزئية[2]، ومثال التام ما ذكره كنوني من قصيدة اليقين:

سابحاً في اليقين

غارقاً في اليقين[3].

فالتوازي في الجملتين واضح، إذ تقوم المتواليتان على التماثل في الصورة الشعرية ذاتها والعروضية كذلك، فهما سلسلتان تمضيان على الوتر الإيقاعي ذاته، وتقومان على الوظيفة النحوية ذاتها، إلا أن دلالة المتوالية الأولى أعمق وأقوى؛ فالغارق في اليقين أكثر معرفة وإدراكاً من السابح فيه.

توازي البنى المتغايرة:

أورد بعض الباحثين لبعض المفاهيم لهذا النوع، وذلك بأن كنوني وصفه بأنه يتسم بتقابل دلالي بين عنصرين أو بين موقعين في سلسلتي كل متوالية على حدة[4].

---

[1] انظر: كنوني، اللغة الشعرية، ص: 130– 133.

[2] انظر: القرعان، التماثل والتقابل في القرآن الكريم، ص: 19.

[3] انظر: كنوني، اللغة الشعرية، ص 131.

[4] انظر: الحياني، التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 25

يرى الباحث أن هذا الوصف لا يمكن أن يقابل النوع الأول من أنواع التوازي التركيبي (البنى المتشابهة)، وما جاء به كنوني فهو للتوضيح بأن التوازي التركيبي يُبحث فيه من ناحية التوازي الصرفي النحوي، ثم من الناحية الدلالية، وذلك في أي مثال كان للتوازي التركيبي، فلم يقصد كنوني بهذا نوعاً آخر، ففي أمثلته للتوازي النحوي الصرفي كانت أمثله مفصلة لتحديد نوعي التوازي التركيبي من حيث البنى، قبل أن ينتقل للحديث عن التقابل الدلالي[1].

فإن كان النوع الأول يستند إلى بنى صرفية ونحوية منتظمة، فليقابله النوع الآخر في نوع البنى الصرفية والنحوية، وليس في التقابل الدلالي، فعليه، قد يكون مفهوم هذا النوع توازياً تركيبياً متغايراً في بعض البنى، أو توازياً قائماً على بنى صرفية ونحوية غير منتظمة.

أما من وصفه بأنه تغاير في البنى أو في التركيب، كالتوازي بين المعرفة والنكرة، أو بين الحذف والذكر، أو بين النفي والإثبات، أو بين الاسم والفعل، أو بين الجمع والمفرد، أو بين صيغ متوازنة نحوياً ومختلفة دلالياً، كالتوازي بين (كان وأصبح)[2]، فهذا قد اقترب بتصنيفه إلى رأي الباحث في مقابلة النوع الثاني؛ لأنه ابتعد عن الجانب الدلالي، فالتوازي مثلاً بين المعرفة والنكرة قد لا يوقع بينهما تقابلاً دلالياً، فقد تترادف المعرفة والنكرة في التوازي لمعنى دلالي واحد؛ وكذلك في الذكر والحذف، ومثاله ما ذكره كنوني من قصيدة (مباهج يومي):

حافل جسدي بالمسرات
مزدحم بالمسرات [3]

([1]) انظر: كنوني، اللغة الشعرية، ص: 131 – 135

([2]) انظر: الحياني، التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 25

([3]) انظر: المرجع السابق، ص: 132

فالباحث المتأمل بين الشطرين السابقين، يستشعر أن المتوالية الثانية حدث فيها حذف، فهي ناقصة عن الأولى، وليس الحذف فيها اعتباطياً؛ ولكن جاء موجزاً مختزلاً التزيد والتكرار بغير فائدة، إذ إن اللفظة المحذوفة (جسدي) دل عليها سياق الجملة الأولى، فهي وإن كانت محذوفة إلا أنها كائنةٌ ضمنياً، والحذف والزيادة بين المتواليتين جعلهما ينتميان إلى حقل توازي البنى المتغايرة.

فبعد أن اتضح الفرق بين توازي البنى المتشابهة والبنى المتغايرة، يرى الباحث أن هناك أنواعاً خاصة بالتركيبي دون الصرفي، وهما التوازي التام وغير التام، كما أن معايير تحديد التوازي التركيبي التام من غير التام لا بُدَّ أن تستقل عن معايير البنى المتشابهة والمتغايرة؛ وذلك أن البحث يتعلق بالتركيب أكثر من بنية الكلمة، ليكون مثلاً توازي البنى المتشابهة أقوى وأشمل من التوازي التركيبي التام؛ لأن البنى المتشابهة متوافقة صرفياً ونحوياً، ولكن في المتغايرة قد يختلف الأمر هنا؛ فتوازي البنى المتغايرة قد تتغاير في البنى الصرفية وتتفق في التركيب، فتكون مثلاً من حيث البنى متغايرة، ومن حيث التركيب تامة، كقولنا مثلاً: (كان الصديق متشائماً فأصبح العدو متفائلاً)، فهذا توازٍ تام في التركيب؛ لتوافقه في المواقع الإعرابية، فلو اختلفت لفظتا (كان، أصبح) صرفياً ودلالياً، إلا أنهما اتفقتا في الوظائف النحوية، ليكون هذا التوازي قائماً على بنى متغايرة، ولكن هو في التركيب متوافق، أي توازٍ تام في التركيب، ومما يدعم القول إنّ التوازي التركيبي التام وغير التام لا يقترن بتوازي البنى المتشابهة ولا المتغايرة، أن تقسيم الجملة في التركيب يختلف عن تقسيمها صرفياً.

دوال التوازي التركيبي:

الأولى: (الترادف): ويقوم على أساس من إيراد فكرة في السلسلة الكلامية الأولى، وإيراد ما يُردافها في المتوالية التي تليها، ويهدف هذا النمط من التوازي إلى إيقاع المتلقي بما

فيه المتواليتين من فكرة[1]، وعليه، فالترادف فيه تكرار للفكرة بين المتواليات، وانسجام في الدلالة العامة، وقد يكون فيه اختلاف في معان جزئية.

ومثالها، قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[2].

فالآيات السابقة ترادفت في أفعال الأمر (قم، فأنذر، فكبر، فطهّر، فاهجر)، يُلحظ الترادف هنا بين كل آيتين، فالآية الثانية والثالثة أمر فيما يخص القول، والآية الثالثة والرابعة فيما يخص الفعل؛ فهما أمر للرسول صلى الله عليه وسلم ليتخلص من الأوثان والنجاسة.

الثانية: التضاد (الطباق): وتقوم على أساس معارضة المتوالية الأولى أو إنكارها[3]، بحيث تقابلها بمعنى مضاد لها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[4].

فتجد أن التوازي التركيبي في الآيات الكريمة وقع متضاداً بين:

يخرج الحي من الميت

يخرج الميت من الحي

لتمثل أطراف هذه المتوالية نفس التركيب النحوي؛ ولكن بين ألفاظ متضادة.

الثالثة: التركيب (التأليف): وتكون فيها المتوالية الأولى ناقصة دلالية يمكن إتمامها في المتوالية الثانية أو الثالثة [5]. ومثالها، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا(48)﴾[6].

([1]) انظر: رواشدة، التوازي في شعر يوسف الصائغ و أثره في الإيقاع والدلالة، ص 21 – 22.

([2]) سورة المدثر، آية: 1 – 5.

([3]) انظر: رواشدة، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثر في الإيقاع والدلالة، ص 23.

([4]) سورة يونس، آية: 31

([5]) انظر: رواشدة، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، ص 22.

([6]) سورة الفرقان، الآية: 47–48.

اشتملت هذه الآية على متوالية رباعية على النحو الآتي:

--	هو الذي	جعل	لكم	الليل	لباسا
و	--	–	–	النوم	سباتا
و	--	جعل	–	النهار	نشورا
و	هو الذي	أرسل	–	الريح	بشرا

هنا وقع التوازي التركيبي المتغاير في المبتدأ والخبر (هو الذي) بين الذكر والحذف، ولكن لحق بالجملة الاسمية توازٍ في الجملة الفعلية بعدها(جعل لكم الليل لباسا) وكذلك في الأطراف الأخرى، فالجمل الاسمية هنا لا تتم معانيها إلا بالجمل الفعلية المتوازية بعدها، فهي بذلك متوالية قائمة على دالة التركيب (التأليف)، كذلك لو وقع التوازي في نسقين، كأن يقعَ في جمل شرطية، ويمتد إلى جواب الشرط، فيُعدُّ بذلك قائم على دالة التركيب (التأليف).

أثر التوازي التركيبي في إنتاج الدلالة:

التوازي التركيبي في القرآن المكي له دور كبير في إنتاج الدلالة، فلا يمكن أن يكون هذا التوازي في آياته لفظياً وشكلياً فقط، أو فقط لصورة جمالية، بل يربطها علاقات وأبعاد خفية، خصوصاً في القرآن المكي؛ لأن مقامه مقام إعجاز للمعرضين والملحدين.

اجتهد البعض في وضع آلية في البحث عن دور التقابلات والتخالفات والتماثلات في إنتاج الدلالة، وقال أنه لا بُدَّ للباحث أن ينتقل من المستوى السطحي إلى المستوى العميق للكشف عن دورها، وذلك مروراً بمرحلتين، الأولى المرحلة الاستدعائية، وهي مرحلة محصورة بين مفرداتها، والثانية المرحلة السياقية الناتجة عن علاقة وحداتها بالسياق، ومن ثمّ الكشف عن أبعادها وعلاقاتها ودلالاتها[1]، فالانتقال إلى المستوى العميق لا يعني الابتعاد عن المستوى السطحي، بل يعتبر مدخلاً للمستوى العميق، فالبحث مثلاً في دوال التوازي التركيبي

(1) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 285 – 286.

يعتبر مدخلاً للكشف عن أسباب هذا التوازي للانتقال منه إلى العميق، ومن ثمّ البحث عن علاقاتها وأبعادها الخفية، فمثلاً في قولة تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[1]، بحيث وقع التوازي التركيبي في الآيات الكريمة في جواب الطلب على النحو التالي:

يرسلِ	السماء عليكم مدراراً
يمددْ	كم بأموال وبنين
يجعلْ	لكم جناتٍ
يجعلْ	لكم أنهاراً

أولاً: لنضع تساؤلات تكون محاور البحث في هذه المتوالية الرباعية:

فمثلاً: ما نوع التوازي الموقعي بين أطراف المتوالية؟ وهل التوازي هنا قائم على بنى متشابهة أم متغايرة؟ وهل هو تام أو غير تام؟ وماهي دوال هذا التوازي؟

هذه التساؤلات لا تتجاوز المستوى السطحي في البداية، ليبقى تساؤلات أخرى، والتي نحتاج لفكّها للانتقال إلى المستوى العميق، لتكشف أثر هذا التوازي في إنتاج الدلالة، فمثلاً، ما علاقة هذا التسلسل في هذا التوازي التركيبي؟ وماذا يربط أطرافه؟ وماذا عن الجملة التي وقعت بين الطلب وجواب الطلب (إنه كان غفارا)؟ وماذا عن التقديم والتأخير في المتوالية؟. ولفك بعض هذه التساؤلات، فالتوازي التركيبي كما ذكرنا سابقاً في مفهومه، أنه لا يمكن أن يتحرر من وحدة النص والبنية الدلالية، فقد ينتج عن ذلك أبعاد خفية وتقدير آخر لدلالة هذا التوازي التركيبي، فمثلاً عند البحث في علاقة أطراف المتوالية في جواب الطلب، فأنه لا بُدَّ من ربطها بالطلب (استغفروا ربكم إنه كان غفارا) فهل يقع جواب الطلب بمجرد الطلب أم بعد الغفران ؟ فإن كان بعد الطلب فجملة (إنه كان غفارا) قد تكون ضمن التوازي في الجواب؛

([1]) سورة نوح، آية: 10 – 12.

لأنها ليست تابعة للطلب، فقد تكون بمعنى استغفروا ربكم يغفر لكم، وقد تكون جملة (إنه كان غفارا) وقعت شرط متمّم داخل الطلب، لتنطلق المتوالية بعلاقة أخرى تنفي ما سبق ذكره، وكذلك قد تكون علاقة الخاص بالعام، فالأطراف معطوفة بالواو، والواو قد يعطف الخاص على العام[1].

وكذلك التقابلات والتماثلات بين بعض الألفاظ قد تبيّن علاقة الارتباط بين أطراف التوازي التركيبي في المتوالية، فقد تشكل أبعاداً أو دلالات على بُعد خفي[2].

هذا النموذج سوف يُبحث فيه لاحقاً إن شاء الله، وإنما كان هذا المثال نموذجاً للتمثيل على كيفية البحث في هذا المستوى.

أخيراً قبل الانتقال إلى فصول البحث التطبيقية، هناك بعض الأمور فيما يخص انتقاء الشواهد والتي لا بُدَّ من التنويه عليها، فإن من أسباب اختيار الباحث للسور المكية في البحث وضرب الأمثلة للتوازي التركيبي أنه يغلب عليها قصر الآيات التي قد يناسب موضوع البحث كما ذكرنا سابقاً، وعليه، سيكون أغلب الشواهد في آيات قصيرة، أي: على ما يغلب عليه المكي، بحيث لا تكون ضمن آيات طويلة تتجاوز مثلاً السطر أو السطر والنصف؛ حتى لا تبتعد أطراف المتوالية عن بعضها كما في آيات السور المدنية، وكذلك حتى لا يقع الباحث في مجال ضيّق سيكون انتقاء الشواهد لا يتقيد بتداخل الجمل، فمثلاً هناك شاهد للتوازي التركيبي بين جمل فعلية معطوفة على جملة فعلية واقعة في محل خبر لجملة اسمية ولم يقع التوازي في مبتداها، فهنا سيكون مكان الشاهد في فصل التوازي التركيبي في الجملة الفعلية؛ حتى لا ينشغل البحث بتفصيل إعراب الجمل والاختلافات عن موضوع التوازي، ليرى الباحث في هذا البحث أنه قد يتم تصنيف التوازي التركيبي للجملة فرعية تحت مسماها دون أصلها؛ لأن أصل الجملة قد لا يكون له علاقة بالتوازي.

([1]) انظر: الأنصاري، الإمام ابن هشام (ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، 1991م،1411هـ، ص: 408 – 411.

([2]) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 302.

الفصل الأول

التّوازي التّركيبيّ في الجملة الاسميّة ولواحقها

الفصل الأول
التَوازي التَركيبيَ في الجملة الاسميَة ولواحقها

توازي الجملة الاسميّة:

يعمد هذا الفصل إلى الحديث عن علاقات التوازي التركيبي ضمن الجملة الاسمية في السور المكية من القرآن الكريم، وعرض مجموعة من النماذج القرآنية التي تشتمل على توازٍ تركيبي ضمن الجملة الاسمية ذاتها.

وهذا الفصل يرتكز في حديثه عن أحد قسمي الجملة في العربية، إذ إن الجملة هي عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، سواء أفاد؛ كقولك: زيد قائم، أو لم يفد؛ كقولك: إن يكرمني؛ فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه؛ فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً[1].

إن المفهوم السابق للجملة يشير إلى ثلاثة أنماط كلامية، النمط الأول: وهي الجملة الاسمية، والنمط الثاني: يتمثل بالجملة الفعلية، أما النمط الثالث: فيتمثل بالتركيب الذي لا معنى له، وما يهم في هذا الفصل من هذه الأنماط الثلاثة هو الحديث عن الجملة الاسمية، فالنظام النحوي العربي يتكون من نوعين من الجمل، يتمثل النوع الأول: بالجملة الاسمية، وهي ما يُشار إليها في كتب النحو – القديم خاصة –بالابتداء، وهي ما يقصد الباحث إلى دراسته في

(1) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: كتاب التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ، 1983م، ص: 78.

هذا الفصل، أما النوع الثاني فيتمثل بالجملة الفعلية، وتتكون كل واحدة منهما من ركنين أساسيين هما: المسند، والمسند إليه، وبهذه العلاقة الإسنادية تظهر المعاني بين الجمل[1].

وهذا الفصل سيتناول الحديث عن مظاهر التوازي التركيبي ضمن الجملة الاسمية وما يتعلق بها من لواحق، وذلك وذلك في ضوء عدد من الآيات القرآنية الكريمة التي تمثل نماذجَ لهذا التوازي التركيبي في كتاب الله تعالى.

التوازي التركيبي في المبتدأ والخبر:

تقوم الجملة الاسمية على ركنين أساسيين، هما: المبتدأ والخبر، وهذا التكوين المعياري للجملة الاسمية قائم على أساس تمام المعنى واكتمال الفائدة، إذ إن المبتدأ مسند إليه، والخبر مسند، وبهذا تكتمل الفائدة المعنوية في الجملة الاسمية.

فالمبتدأ يشير إلى ذلك الاسم المرتفع في بداية الجملة، والمجرد عن العوامل اللفظية الناسخة للابتداء، وهو الاسم الموضوع أصلاً للإسناد إليه، أو الصفة التي اعتمدت على أحد أحرف الاستفهام أو النفي، والرافعة لما بعدها أو ما جرى مجراه[2].

ومن النماذج في السور المكية على مجيء التوازي التركيبي في المبتدأ والخبر، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(48) ﴾[3]، وقع التوازي التركيبي في الآيتين الكريمتين بين الذكر والحذف، وعلى نمطين من التوازي الموقعي، وذلك على النحو التالي:

---

[1] انظر: حسن، عباس: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة الخامسة عشرة، د.ت، ج: 1، ص: 473.

[2] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2004م، ص: 81.

[3] سورة الفرقان، الآية: 47-48.

--	هو الذي	جعل	لكم	الليل	لباسا
و	--	–	–	النوم	سباتا
و	--	جعل	–	النهار	نشورا
و	هو الذي	أرسل	–	الريح	بشرا

هنا تكونت أطراف المتوالية الاسمية بين مواقع متوازنة، والجملة الفعلية بعدها هي متممة المعنى للاسمية هنا، فكانت أطراف المتوالية مكونة على النحو التالي:

مبتدأ + خبر+ فعل + ضمير مستتر + متعلق بالفعل + مفعول به + مفعول ثانٍ

هذا في الأطراف الثلاثة الأولى، وتغاير الطرف الرابع في المفعول الثاني (بشرا) فكانت هنا حالاً وليست مفعولاً ثانياً، فهذا التركيب كان ظاهراً في الطرف الأول من المتوالية، ثمّ مقدّر بعضه في الطرف الثاني والثالث منها، وارتبطت أطرافها الأربعة بالعطف بالواو، فتحدثت الآيتان عن الظواهر الكونية الدالة على عظمة الخالق، وذلك بأنه _سبحانه وتعالى_ جعل الليل ستراً لخلقه، والنوم راحة للأبدان، وجعل النهار يقظة وحياة، والريح الملقحة بشراً[1]، فدلّ السياق على حذف الجملة الاسمية في طرفي المتوالية الثاني والثالث، ليكون التوازي هنا غير تام، فهو قائم على بنى متغايرة، وذلك بسبب الحذف والذكر بين أطرافها، فلم تقم على البنى المتشابهة إلا بالمفاعيل في الجملة الفعلية التابعة للاسمية.

كان الحذف والذكر له أسباب، قد تُلحظ بعضها من خلال علاقة التوازي التركيبي بين أطراف المتوالية، فمثلاً حُذفت الجملة الاسمية في الطرف الثاني والثالث، وظهرت في الرابع، فالمتأمل القارئ يلحظ ارتباط، الأطراف الثلاثة الأولى من الآية الأولى، وذلك بتوازيها بين مواقع متقابلة مع الجملة الاسمية على النحو التالي:

([1]) انظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت310هـ): جامع البيان، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م، المجلد: 17، ص: 465 – 467.

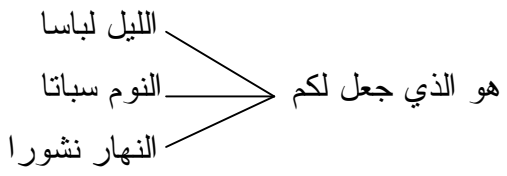

ارتبطت المفاعيل دلالياً بما قبلها، فكان الحذف هنا لدلالة السياق عليها وارتباط الجملة الاسمية بالفعل (جعل) بعدها، فلما انتقل الحديث من (جعل) إلى (أرسل) ناسب إعادة ذكر الجملة الاسمية لاختلاف الفعل عن الأطراف الثلاثة الأولى التي تختص بما يحدث بتقلب الليل والنهار، وكذلك في الجملة الفعلية يُلحظ الحذف والذكر في الفعل (جعل)، وذلك بين الطرف الثاني والثالث، فهذا قد يكون بسبب التضاد والترادف في المتوالية، فمثلاً لفظة (النوم) تتناسب مع (الليل)، فالنوم في علاقته بالليل عند الانتقال لمستوى أعمق، قد تكون علاقة سببية؛ لأن النوم زمانه غالباً في الليل، فكان السياق يتطلب التكرار اللفظي للفعل بسبب هذه العلاقة التي يمثلها الترادف.

وكذلك التناسب بين لفظتي (الليل) و(النوم) في انسجامهما الصوتي وتجانسهما في المفاعيل الثانية لها، فالأصوات في القرآن تناسب المعنى[1]، فكأن حرف السين المهموس في (لباسا، سباتا) يدل على السكون والهدوء في الليل والنوم، في حين استخدم الراء المجهور في (النهار، نشورا)، فانتقال الحديث إلى التقابل بالتضاد في (النهار) الذي يقابل (الليل)، قد استدعى السياق ذكر الفعل (جعل)، ومما يدعم القول في ذلك رأي الزمخشري بتفسير (سباتا) أي: من مماتا، وأن النهار الحياة بعد الموت، وهو بذلك يريد أن النوم يشبه الموت، و(النهار

(1) أبو عمامة، د. محمد: الصوت والدلالة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، مجلة التراث العربي، العدد (85)، يناير 1985م، ص: 83.

نشورا) أي: الحياة بعد هذا الموت[1]، الأمر الذي يعزز القول بهذا التضاد، كما أن النحاس يرى أن سبب تكرار الفعل (جعل) هو للتوكيد[2]، فالباحث يرى صواباً في ذلك؛ لأن الفعل تكرر والتكرار يفيد التوكيد، ولكن لو كانت تفيد التوكيد فقط، لتكرر في (الليل لباسا)، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[3]، التي كانت في مقام توكيد فتكرر الفعل في الأطراف الثلاثة.

وعليه، كانت المتوالية تتضمن أكثر من دالة، فوقع التضاد بين (النهار) و(الليل)، وغلب عليها الترادف لمعنى دلالي واحد، وهو ذكر قدرة الله في تقلب الظواهر الكونية، ولكن هذه الدوال إنما كانت فرعاً من أصل، لأنها وقعت فيما يرتبط بالجملة الفعلية، وليس في الاسمية، فيرى الباحث أن هذه المتوالية الرباعية تضمنت دالة التأليف (التركيب)؛ وذلك لأن الاسمية لا يتم معناها الدلالي إلا بتوازي ما لحق بها وهي الجملة الفعلية.

ومن الأمثلة على مجيء التوازي التركيبي في الجملة الاسمية ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[4].

([1]) انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج:3 ، ص: 283.

([2]) انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل(ت338هـ): إعراب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، ج: 3، ص 113.

([3]) سورة النبأ، آية: 9 – 11.

([4]) سورة المؤمنون، الآية: 1–5.

اشتملت الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية رباعية على النحو التالي:

–	الذين	هم	في	صلاتهم	خاشعون
و	الذين	هم	عن	اللغو	معرضون
و	الذين	هم	لـــــــ	لزكاة	فاعلون
و	الذين	هم	لـــــــ	فروجهم	حافظون

جاء الاسم الموصول (الذين) متوازياً بالعطف على الطرف الأول في محل رفع صفة للمؤمنين، وذلك في جميع أطراف المتوالية، ثم تلاها التركيب التالي:

ضمير منفصل (مبتدأ) + جار ومجرور متعلق بالخبر + خبر

فهذا التركيب التام بين المواقع المتوازنة، قائم على بنى متشابهة في المبتدأ والخبر، ولم يقع التغاير إلا في المتعلقات، وذلك في اختلاف حروف الجر، وبين المعرّف بأل والمعرف بالإضافة.

المتوالية متسلسلة من العام إلى الخاص، فقد سبقها الآية "قد أفلح المؤمنون" لتعم جميع المؤمنين في الفلاح، ثم انتقل الحديث إلى التوازي التركيبي، الذي توالى بتخصيص هذا العموم، ليخص من هؤلاء المؤمنين الذين يخشعون في صلاتهم، ثمَّ بالأخص الذين هم عن اللغو معرضون، ثمَّ بالأخص الذين يُزكّون، ثمَّ بالأخص الذين يحافظون على فروجهم، ومن هذا التسلسل الذي كشف العلاقة بين أطراف هذه المتوالية قد يتضح أن المتوالية قائمة على دالة الترادف في وصف المؤمنين الذين أفلحوا، فكأن التوازي وقع في الشرط، وتقابل مع جواب الشرط.

ومما أضفى جمالية أكثر على هذه المتوالية، أنها جاءت متوافقة في الفاصلة القرآنية في الواو والنون لجمع المذكر السالم في: (خاشعون، معرضون، فاعلون، حافظون) فهذا التناسب الصوتي أضفى قوة وتماسك بين أطرافها.

التوازي التركيبي في تقدّم المبتدأ على الخبر:

كانت النماذج السابقة في التوازي التركيبي بمجيء الجملة الاسمية على أصلها، ففي الجملة الاسمية قد يتقدم الخبر على المبتدأ جوازاً وقد يتقدم وجوباً، فيتقدم جوازاً إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ معرفة، ويتقدم وجوباً إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة[1].

ففي الجملة تتعدّد أشكال الخبر، إذ يأتي اسماً مفرداً نحو: "زيدٌ قائمٌ"، ويأتي شبه جملة، نحو: "زيد في الدار"، ويأتي الخبر جملة فعلية، نحو: "زيد يقرأ"، ويأتي جملة أسمية نحو: "زيد قائم أبوه"[2]، وفي مجيء الخبر شبه جملة قد يتقدم الخبر على المبتدأ إما جوازاً أو وجوباً، ومن نماذج القرآن المكي على التوازي التركيبي في الجملة الاسمية المتقدم خبرها على المبتدأ جوازاً، ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[3].

يظهر لنا في الآية الكريمة وجود توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

لكم	دينكم
لي	دين

يُلحظ هذا التوازي من خلال التماثل بين المواقع المتوازنة، بحيث تكونت عناصرها على النحو التالي:

حرف جر + ضمير مجرور "في موضع الخبر" + اسم مرفوع" في موضع المبتدأ.

([1]) انظر: ناضر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر، دار السلام، القاهرة– مصر، الطبعة الأولى، 1428ه، ج: 2، ص 944.

([2]) انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المفصل في صنعت الأعراب، تحقيق: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص: 44.

([3]) سورة الكافرون، آية: 6.

هذا التركيب للتوازي يقود إلى القول إنه قائم على بنى متشابهة، إلا أن هناك تغايراً بين الحذف والذكر في الضمير المتصل الكاف في المبتدأ (دينكم) الواقع في محل جر الإضافة والتي حُذفت في الطرف الثاني من المتوالية (دين) ودلّ عليها الكسرة[1].

التوازي التركيبي هنا بين مواقع متوازنة، ولو أن الآية ارتبطت بما قبلها في الإعراب، لكان التوازي بين مواقع متقابلة؛ لأن السورة بدأت بالفعل (قل)، فالسورة تمثل خطاباً من الله بلسان الرسول–صلى الله عليه وسلم– للمشركين الذين أرادوا منه أن يساوموه في دينه، فكان الأمر الرباني بالتجرد من سائر أشكال الشرك[2]، فتسلسل الخطاب من أول السورة مرتبطاً بـــــ (قل)، لتكون هذه المتوالية على النحو التالي:

قل ـــــــ لكم دينكم

ولي دين

لكن هذا التقابل مع فعل الأمر يُخرج الجملة الاسمية إلى الفعلية، لتبقى على أصلها بين مواقع متوازنة كما في الجدول، حتى لا يحدث تغاير في تقدير الإعراب.

هذا من حيث التوازي الموقعي، أما في الدالة فالتضاد يُلحظ من خلال علاقة المفارقة التي تكون على مستوى المدلولين، بحيث يتخذان نقطة بدء واحدة، وينطلق كل مدلول من هذه النقطة باتجاه معاكس للآخر[3]؛ لأن الآية جاءت فيصلاً للجدل القائم بين أهل الشرك والرسول

([1]) أنظر: صالح، بهجت عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، ط1، 1993م، مجلد (12)، ص: 520.

([2]) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت 710هـــ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج3، ص 687–688.

([3]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص 352.

– صلى الله عليه وسلم[1]، فمن الممكن إدراك ذلك من خلال تقابل الجار والمجرور (جملة الخبر المقدم) و بين (لكم) و(لي).

ومن نماذج تقدم الخبر على المبتدأ وجوبا، التي اشتملت على توازٍ تركيبي، ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[2]، فقد اشتملت الآية على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية تقدم فيها الخبر (لهم، من فوقهم) على المبتدأ (مهاد، غواش)، وذلك لكون الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة.

المبتدأ "غواش" الاسم المنقوص في العربية، سقطت ياؤه؛ لأنه هنا نكرة مرفوع[3]، فتوافقت بنيتها لـــــ"مهاد"، لتمتثل كل منها للمقاطع الصوتية ذاتها، وهي:

مقطع قصير مفتوح + مقطع متوسط مفتوح+ مقطع متوسط مغلق

مِ// غَـــ ها// وا دُنْ + شِنْ

كما أن المتوالية أظهرت تقابلاً مكانياً على المستوى العمودي[4]، وذلك بين لفظة (مهاد) و(من فوقهم)، فالآية تضمنت وعيداً من الله سبحانه للكافرين يوم القيامة، وذلك بأنهم سيكون لهم فراش من النار، بل يتعدى الأمر الفراش حتى يكون لهم غطاء أيضاً من النار[5]، فكان هذا التضاد على المستوى العمودي بين الفراش والغطاء من النار، إلا أن التوازي

([1]) انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشافعي (ت 691 هـــ): أنوار التبديل وأسرار التأويل، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـــ، ج5، ص:

([2]) سورة الأعراف، الآية: 41.

([3]) انظر: الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج3، ص 147.

([4]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص 297.

([5]) انظر: النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص: 568.

التركيبي في هذه المتوالية غير تام، لأن الطرف الأول أطول من الثاني، وذلك على النحو التالي:

لهم من جهنم مهاد
من فوقهم غواش

كذلك كانت البنى في هذا التوازي التركيبي متغايرة في الخبر المُقدّم.

ومن النماذج في السور المكية على تقديم الخبر وجوباً ضمن إطار التوازي التركيبي ما جاء في قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَة (12) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَة (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَة (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَة (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَة﴾[1].

تبيّن الآيات الكريمة ما أعده الله _سبحانه وتعالى_ للمؤمنين من نعيم في الجنة، فقد أعدّ لهم النزل العظيم من عيون جارية وسرر مرفوعة وغيرها[2]، فاشتملت الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية خماسية على النحو التالي:

–	فيها	عين	جارية
–	فيها	سُرر	مرفوعة
و	–	أكواب	موضوعة
و	–	نمارق	مصفوفة
و	–	زرابي	مبثوثة

التوازي التركيبي هنا على احتمالين، فالاحتمال الأول هو أن الطرف الأول والثاني يستقل بتركيبه عن الأطراف الأخرى، فهو تام في التركيب، وبين مواقع متوازنة، باعتبار وجود الوحدة الكلامية (فيها) في بداية كل طرف من دون واو العطف، في حين أن الأطراف

(1) سورة الغاشية، الآية: 12–16.

(2) انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ): زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، ج4، ص: 15.

الأخرى كانت أيضاً تامة في التركيب، ولكن بين أطرافها، وليس مع الطرف الأول والثاني، وكذلك بين مواقع متوازنة مرتبطة بواو العطف، ليكون هذا التوازي منقسماً إلى متواليتين، كل متوالية لها تركيبها المستقل عن الأخرى.

أما الاحتمال الثاني فيتعلّق بالفكرة البلاغية التركيبية في هذا التوازي، وذلك أنه _سبحانه وتعالى_ قال: (فيها عين جارية)، ثم قال: (فيها سرر مرفوعة)، ثم عطفت أطراف المتوالية المتبقية من دون (فيها)؛ وذلك بأن الطرف الثاني من المتوالية (فيها سرر مرفوعة) ليس له ارتباط مباشر بالطرف الأول (فيها عين جارية) فكان المقام لتعدد أنواع نعيم الجنة، ولكن لما بدأت هذه النعم بالتداخل في مواضعها لم يأت بـــ"فيها"؛ لعلاقة الأكواب بالعيون الجارية، وعلاقة باقي المعطوفات بالسرر المرفوعة، وهكذا.

فكأن تقسيم المتواليات من حيث العلاقة الرابطة بينهما على النحو التالي:

فيها ← عين جارية
أكواب موضوعة

فيها ← سررٌ مرفوعة
نمارق مصفوفة
زرابي مبثوثة

بهذا الاحتمال كان الأطراف بين مواقع متقابلة مع الخبر المقدّم (فيها)، والذي دلَّ عليه حذف الخبر في باقي أطراف المتوالية.

وعلى الاحتمالين فالتوازي تام في كل متوالية، وتشابهت في بعض البنى الصرفية للنعت المتفقة في الوزن والفاصلة، مثل: (موضوعة، مرفوعة)، ومما يزيد في جماليات هذا التوازي، أن المبتدأ المؤخر قد نعت بنعت بعده، وبنفس البنية، ومثل: (مرفوعة، موضوعة،

مصفوفة، مبثوثة)، فهذا النعت التشكيلي قد أسهم في تعميق عناصر التوازي التركيبي وفي تشكيل المعنى القرآني وفقاً لما يقتضيه النعيم المقيم في الجنة للمؤمنين.

كما أن انتماء الأطراف لعنصر دلالي واحد وهو تعدّد نعيم الجنة، يقود إلى القول إن هذا التوازي التركيبي هنا قائم على الترادف.

التوازي التركيبي في الجملة الاسمية الواقع خبرها جملة:

الخبر في الجملة قد يأتي جملة، ومن نماذج القرآن المكي على التوازي التركيبي ضمن مجيء الخبر جملة ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1].

اشتملت الآيات على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

أولئك	هم	خير	البرية
أولئك	هم	شر	البرية

هذا التوازي التركيبي هو تماثل بين مواقع متوازنة، لتوافقها النحوي وعدم ارتباطها بأي مركب سابق أو لاحق، وبالطبيعة الصرفية المتجانسة بين وحدات هذا التركيب، فكان تركيب كل طرف من المتوالية كالتالي:

مبتدأ + مبتدأ ثانٍ + خبر للمبتدأ الثاني + مضاف إليه.

فهذا التوازي التركيبي التام قائم على البنى المتشابهة، والتضاد بين أطراف هذا التوازي، فقد جاءت هذه المتوالية لتبيّن حال المؤمنون وحال الكافرون يوم القيامة، فكل حال لا ترتبط بحال الآخر، فالمؤمنون الذين عملوا الصالحات هم خير البرية، والكافرون الذين لم

(1) سورة البينة: الآية: 6-7.

يعملوا من الخير شيئاً، بل كان عملهم كله شراً، فإنهم في نار جهنم، وهم شر البرية[1]، وبتضاد اللفظتين (خير) و(شر) وقع هذا التقابل المتضاد.

التوازي التركيبي في متعلقات الخبر:

يُلحظ في بعض النماذج السابقة توازٍ تركيبي في متعلقات الخبر، التي هي من العناصر المكملة التي تدخل في الجملة الاسمية، وتحمل ملامح التوازي التركيبي، ليتم طرح النماذج عنها بشكل مستقل، فهي متعلقات معنوية ترتبط في معناها بأحد عناصر الجملة، كالخبر مثلاً، نحو قولنا: زيدٌ في الدار قائم، فإن شبه الجملة "في الدار" ليست في موضع الخبر بالرغم من تصورها بعد المبتدأ، وذلك أن المعنى لا يؤيد كونها خبراً، بل يؤيد ارتباطها الدلالي وفقاً للخبر الذي يليها، وهو "قائم"، فإن معنى القيام يستلزم وجود موضوع يقوم فيه القائم، فكان بذلك شبه الجملة من متعلقات " قائم"، أي أنها تتعلق بها دلالياً[2].

ومن النماذج في القرآن المكي على توازي المتعلقات الإخبارية، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[3].

اشتملت الآية القرآنية الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية كلامية ثلاثية، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

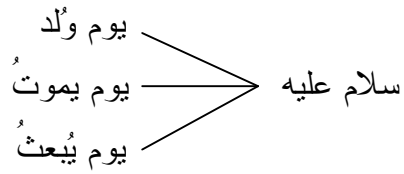

([1]) انظر: ابن عادل الحنبلي، ابو حفص سراج الدين عمر بن علي (ت 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه، ج20، ص: 443.

([2]) انظر: ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي موفق الدين، شرح المفصل للزمخشري، تقديم: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، ج4، ص: 372.

([3]) سورة مريم، الآية: 15.

يتضح من هذا الشكل أنه بين مواقع متقابلة، وذلك أن متعلقات الخبر "يوم وُلِدَ" و"يوم يموت" و" يوم يبعث" بقيت في مجملها معتمدة على عنصر تركيبي واحد، "سلام عليه".

فكانت هذه المتعلقات مرتبطة بذلك، لأن الآية القرآنية متحدثة عن نبي الله يحيى عليه السلام، فقد خصه الله في هذه المواضع الثلاثة بالسلامة، إذ أوحش ما يكون الإنسان في حياته في هذه المواطن، لأن يوم مولده يخرج مما كان فيه، ويوم مماته يرى ما لم يره من قبل، ويوم البعث في محشر عظيم[1]، فالخبر في الآية هو "عليه" وهو شبه جملة كما يرى الباحث، وقد عد كثير من النحاة خاصة نحاة البصرة شبه (الجملة) الظرفية أو الجار والمجرور متعلقاً بخبر محذوف، ولم يعدوها خبراً أصلاً[2]، إلا إن الباحث يرى أنها خبرٌ على ما درج عليه النجاة من بعد.

هذا التضاد بين أطراف المتوالية يعد "تقابل معنوي وتخالف" تحت النمط المعقد، فعلاقة "وُلِدَ" بـــ"يموت"، فالطرف الأول (وُلِد) يتضاد مع (حال العقيم) أي (لا يولد)، وليس (الموت)، ولكن خالف من جهة تناسب اللفظتين، ووقع التضاد المعنوي بين "يموت" ومرادف الطرف الثالث "يحيا" الذي هو "يُبعث"، وكان محور هذا التضاد المعنوي والتخالف في النمط المعقد هو الطرف الثاني " يموت"، والذي من دونه يقع الترادف بين الطرف الأول والثالث (ولد) و (يبعث) وذلك لدلالتها بمعنى الحياة[3].

([1]) انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد محي السنة، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـــ، ج3، ص:227-228.

([2]) انظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، نتائج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412 ه، ص: 324.

([3]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 143

أما من حيث البنى فقد تغايرت صرفياً بين الأفعال المبينة للمجهول (ولد) و (يبعث) وبين المبني للمعلوم (يموت)، وتغايرت بين الماضي والمضارع في تلك الأفعال، بحيث كان الفعل الأول فعل ماضياً مبنياً للمجهول، والثاني فعل مضارعاً مبنياً للمعلوم، والثالث فعلاً مضارعاً مبنياً للمجهول، فقد جمع الفعل الثالث بين الفعل الأول والفعل الثاني من حيث إنه مضارع كالثاني، ومبني للمجهول كالأول، كذلك بين الحذف والذكر لو تم تقدير المتوالية بمواقع متوازنة، لتتكرر الجملة الاسمية (سلام عليه) في جميع أطراف المتوالية الكلامية.

ومن نماذج القرآن المكي في التوازي التركيبي في متعلقات الخبر، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

تتضمن الآية الكريمة المتوالية ثلاثية قريبة جداً من النموذج السابق في الألفاظ والتركيب، إلا أن هذه الآية جاءت متحدثة عن مناسبة أخرى، فهي تتحدث عن سيدنا عيسى_عليه السلام_ عندما أنطقه الله أمام قومه في المهد، فالآية فيها تنويه بكرامته عند الله، وقد جاء (السلام) مقروناً بـــ(ال) الدالة على الجنس مبالغة في تعليق السلام به حتى كان جنس السلام بأجمعه عليه، وهذا دليل تفضيله على يحيى؛ إذ جاء السلام عليه بلام الجنس بينما جاء نكرة في شأن يحيى[2].

التوازي التركيبي في المتوالية قائم على الُبنى المتغايرة كالنموذج السابق، ولكن هنا جاء الخطاب من الله بلسان عيسى عليه السلام، ودخلت أيضاً ال التعريف في (السلام)، الأمر الذي استدل به بعض المفسرين أنه تفضيل لعيسى عليه السلام، كما تم ذكره سابقاً، وكذلك مما

([1]) سورة مريم، الآية: 33.

([2]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984، ج16، ص: 100-101.

يزيد التوازي جمالية هو مناسبة بعض الأصوات للموقف القرآني، فحرف السين في كلا النموذجين يدل على الهدوء والطمأنينة وهذا يتناسب مع موقف سيدنا عيسى ويحيى عليهما السلام.

التوازي التركيبي في النواسخ:

يُطلق مصطلح النواسخ في النحو العربي على مجموعة من العناصر التركيبية التي تدلّ على الجملة الاسمية، فتنسخ حكمها، أي تبدله وتغيره، فتنقله من الرفع إلى النصب في بعض أجزائه، وهذه النواسخ تنقسم إلى حرفية وفعلية، والناسخ الفعلي إذا دخل الجملة الاسمية فإنه لا يحولها عن كونها اسمية، بل تبقى اسمية بالرغم من استفتاحها بفعل[1].

والنواسخ الفعلية تتمثل ب "كان" وأخواتها، و" ظن" وأخواتها، و" كاد" وأخواتها، في حين أن النواسخ الحرفية تتمثل بـــــ"أن" وأخواتها، وفيما يأتي سيكون الحديث عن التوازي التركيبي ضمن نواسخ الابتداء في السور المكية من القرآن الكريم.

التوازي التركيبي في كان وأخواتها:

(كان وأخواتها) تُعد أفعالاً ناسخة، وهم كان، وصار، وأمسى، وأصبح، وظل، وبات، وأضحى، وما دام، وما زال، وما فتئ، وما برح، وليس، وتعمل "كان وأخواتها" في الجملة الاسمية فتستخدمها عن موضع الابتداء، وذلك بأن ترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، ومن نماذج القرآن المكي التي اشتملت على توازٍ تركيبي متعلق ب " كان" وأخواتها ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ (8) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[2].

([1]) انظر: ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، ط 11، 1388هـــ، ص 126.

([2]) سورة المعارج: الآية: 8-9.

اشتملت الآية الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية بين مواقع متوازنة يمكن توضيحها على النحو التالي:

تكون	السماء	كـــــ	المهل
تكون	الجبال	كـــــ	العهن

هنا التوازي التركيبي تام، فقد توافق طرفي المتوالية في التركيب النحوي، وقام كذلك على بنى متشابهة، فكان على النحو التالي:

فعل ناسخ + اسم الناسخ المرفوع + شبه جملة في محل نصب خبر.

كما أن المتوالية اشتملت على تقابل متضاد معنوي، فـــــ (السماء) في الأصل قد يقابلها (الأرض) ولكن هنا وقع التضاد بين (السماء) و (الجبال) فهنا يظهر بُعد مكاني على مستوى عمودي، بتقابل الأعلى بالأسفل[1]، ولكن على مستوى أعمق هناك نوع من الترادف بينهما، فـــــ (السماء) و(الجبال) تشتركان بصفة العلو، والتي يرى الباحث أنها تشكّل العلاقة بين هذه اللفظتين في التوازي، كما أن التشبيه المتوازي في المتوالية (كالمهل، كالعهن)، أضفى جمالية أكثر لهذا التوازي، بحيث شبَّه السماء بالمهل، أي كالفضة المذابة في تلونها، وشبه الجبال بالعهن، أي: كالصوف المصبوغ ألواناً، لأن الجبال جُدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود[2]، فيلحظ في هذا المستوى تقابل الألوان بهذا التشبيه.

أما من حيث الدوال فغلب الترادف في عناصر المتوالية إلى حقل دلالي واحد، وهو الحديث عن أهوال يوم القيامة.

([1]) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 297.

([2]) انظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418ه، ج6، ص:206.

ومن النماذج المشابهة لتركيب النموذج السابق، ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوث (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوش﴾[1].

هنا امتد التوازي إلى ما بعد الخبر، وذلك بين النعت (المبثوث، المنفوش)، فكل منهما نعت للخبر، أي كالفراش المنتشر الضعيف الذي يتطاير إلى الناس، والجبال كالعهن المنفوش، أي: كالصوف المتفرقة أجزاؤها، فكان التوازي التركيبي هنا قائماً على الترادف بين عناصره، ويجري عليه ما جرى على المثال السابق.

ومن النماذج على مجيء التوازي في "كان" وأخواتها ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين﴾[2].

اشتملت الآيتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

كنـــ	نا	تخوض	مع الخائضين
كنـــ	نا	نكذب	بيوم الدين

التوازي التركيبي في المتوالية ناشئ من طبيعة التركيب المعتمد على "كنّا" الناقصة الماضية المسندة إلى ضمير الرفع للمتكلمين.

هناك تقابل في الخبر (نخوض، نُكذّب) فالخوض لحقه (مع) ظرف المكان، وتدلُّ نخوض على مخالطة ومشاركة أهل الباطل في شركهم[3]، فالمخالطة والمشاركة أقرب للأفعال من الأقوال بينما (نكذب) لحقها ظرف الزمان (يوم)، والتكذيب أقرب للأقوال من الأفعال فبهذا

([1]) سورة القارعة، الآية: 4-5.

([2]) سورة المدثر، الآية: 45-46.

([3]) انظر: العدوي، أبي عبد الله مصطفى، التسهيل لتأويل التنزيل، تفسير جزء تبارك في سؤال وجواب، مكتبة مكة، طنطا، مصر، ط1، 2002م، ص: 343.

تقابل ظرف الزمان والمكان، وكان هذا التقابل ليس متضاداً، بل مترادف، فالآيتان تتحدثان عن الكافرين الذين وقعوا في نار جهنم بسبب كفرهم بالله عز وجل، وأنهم خاضوا مع الخائضين وكذبوا بيوم الدين[1].

توافقت عناصر التركيب في المتوالية فكانت على النحو التالي:

كان + اسم كان "نا" + فعل مضارع وفاعل مستتر والجملة محل خبر كان + جار ومجرور.

فهذا يدل على أنه توازٍ تركيبي تام، وأنه متوافق على بنى متشابهة في الفعل الناسخ والمبتدأ (الضمير المتصل) وكذلك في جملة الخبر.

ويمكن أن يقع التوازي بين " كان" وأخواتها على أساس من التغاير والتضاد، كالتقابل بين (كان) و (أصبح)، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

كان التوازي بين تركيب أواخر الآيتين، ليمثّل متوالية ثنائية على النحو التالي:

أصبحوا	في دارهم	جاثمين
كانوا	هم	الخاسرين

التغاير واضح هنا؛ وذلك لاختلاف البنى بين أطراف المتوالية، فكان تركيب العناصر في كل طرف كالتالي:

أصبح + ضمير متصل (اسم أصبح) + جار ومجرور ومضاف إليه+ خبرها
كان + ضمير متصل (اسم كان) + ضمير + خبرها.

([1]) انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1422ه، ص: 399.

([2]) سورة الأعراف: الآية: 91-92.

فبهذا التركيب يتضح أنه توازٍ تركيبي غير تام؛ لتغاير الطرفين بين دخول الجار والمجرور في الطرف الأول وقابله الضمير (هم) العائد على قوم شعيب في الطرف الثاني، ولكن توافقت في الفعل الناسخ والاسم والخبر من حيث التركيب، وتغاير الخبر في التركيبين النكرة والمعرفة.

تشابهت البنى في الاسم والخبر في كلا الطرفين، فكانت الأسماء ضمائر متصلة (الواو)، والخبر على اسم الفاعل، وكذلك توافقت نهاية حروف كل طرف في "الياء" و"النون"، اللذين يمثلان الفاصلة القرآنية.

أظهرت هذه المتوالية تضاداً بين (كان) و (أصبح)، فـــ "أصبح" تدل على الحال التالي، و"كان" تدل على الحال السابق، فكان التضاد والتغاير بين الزمنين، وذلك في وصف حال قوم شعيب عليه السلام لما كذبوه بما جاء فيه من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فأخذتهم الرجفة، فأصبحوا في دارهم جاثمين، أي أنهم هلكوا جميعا، فكأنهم لم يحيوا في الدنيا، وكانوا بتكذيبهم نبيهم هم الخاسرين[1].

في المتوالية تفصيل وإجمال، كذلك تخصيص، فكان الطرف الأول من المتوالية (فأصبحوا في دارهم جاثمين) ضمن تفاصيل العقوبة فقد سبقها في الآية الكريمة قوله تعالى: (فأخذتهم الرجفة)، ولكن في طرف المتوالية الثاني (كانوا هم الخاسرين) لم يكن فيها تفصيل، بل اكتفى بقوله (هم الخاسرين)؛ لأن العقوبة جاءت مفصلة في الآية التي سبقتها، فالعقوبات جزء من الخسارة، وكذلك الضمير (هم) يدل على أنه سبقه تخصيص، فلم تكن الآية (كانوا

([1]) انظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وأخرج أحاديثه، يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت لبنان، ط1، 1990م، ج1، ص: 587-588.

خاسرين) بل جاءت (كانوا هم الخاسرين) بحيث إن العقوبة وقعت بمن هم كذبوا شعيب وليس جميع قومه، فهذا الانتقال بين التفصيل والإجمال، ومن العام للجزء، ومن ذكر العقوبة ثم ذكر السبب، أضفى جمالية أكثر على هذا التوازي.

وقد يقع التوازي التركيبي بين النواسخ وجملها بشكل غير ملحوظ؛ بسبب التغاير في البُنى، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾[1].

وقع التوازي في الآيتين الكريمتين بين النواسخ، وذلك بين: (كنا طاغين، عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها، إنا إلى ربنا راغبون)، فالشاهد في هذا النموذج هو توازي النواسخ واسمها وخبرها، ولكن جاء اسم " كان" في ضمير متصل، واسم عسى جملة وخبرها جملة.

التوازي في هذا النموذج قائم على التضاد، بحيث بدأت أطراف المتوالية بين (كنّا) و(عسى)، وذلك في قصة أصحاب الجنة الذين اقسموا ألا يعطوا المساكين منها شيئاً، فلما كان الليل أرسل عليهم الله _سبحانه وتعالى_ إعصاراً فاحترقت، فلما كان الصباح رجعوا إلى أنفسهم، واعترفوا بذنبهم، فقالوا هذه المقولة[2].

كان التقابل على البُعد الزمني، فالقرآن شمل ثلاث مراحل أو حلقات زمنية، هذه الحلقات هي زمن الحياة الدنيا، وزمن الموت "حياة البرزخ"، وزمن الحياة الآخرة "الأبدية"[3]، فوقع التوازي هنا ضمن الحلقة الأولى، فكان الاعتراف يمثل الزمن الماضي، وكان الترجي

([1]) سورة القلم، الآية: 31-32.

([2]) انظر: أبو حيان الأندلسي، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن علي (ت 745 هـ)، بحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، ج10، ص: 234.

([3]) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 237.

بـــــ"عسى" يمثّل المستقبل، وتغايرت البنى بين أطراف المتوالية ليقابل اسم كان الضمير المتصل في الطرف الأول (نا)، بالجملة في الطرف الثاني (ربّنا)، وكذلك في تقابل الخبر بين الاسم (طاغين) والجملة (أن يبدلنا)، وتشابه الاسم والخبر بين الطرف الأول والثالث، وذلك في الضمير المتصل (نا) الذي يمثّل الاسم، و(طاغين، راغبون) الواقعة خبراً.

التوازي التركيبي في " أن" وأخواتها:

من النماذج في القرآن المكي على التوازي التركيبي في "إن" وأخواتها ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[1].

اشتمل هذا النموذج على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

إنّه	لـــــ	يئوس	كفور
إنّه	لـــــ	فرح	فخور

يُعدّ هذا التركيب المتماثل توازٍ تركيبي تام بين مواقع متوازنة، لأدائها الوظائف النحوية نفسها، وكذلك التشابه في البنى؛ لتشابه عناصر أطراف المتوالية في الحروف الناسخة، واتصال الهاء "اسم إن" وفي الخبر الثاني (كفور، فخور) ولم تتغاير إلا في الخبر الأول (يئوس) و (فرح) كانت بين (فعول) و (فعِل).

وعليه، تكونت عناصر المتوالية من "إن" وهو حرف توكيد، يزيد في توكيدها للام المزحلقة التي اتصلت بقوله: ليئوس، وقوله: لفرح، وهي لام مفتوحة، تسمى اللام المزحلقة، إذ أصلها لام الابتداء، غير أن دخول "إنّ" على الجملة الاسمية نقلها من موضعها، فصارت

([1]) سورة هود، الآية: 9–10.

متصلة بخبر "أن" لتفيد التوكيد، إذ لا يصلح الجمع بين "إن" واللام الابتدائية في الاسم، فلا يصح إن يقال: إن لزيداً قائم[1].

التوازي هنا قائم على التضاد، وذلك في (يئوس، فرح) وكذلك في الخبر الثاني (كفور، فخور)، فالآيتان تبيان حال الإنسان في الرخاء والشدة، إن كان في الشدة يئس من رحمة الله، فإذا جاءته الرحمة بعد الشدة فرح واختال على الناس من حوله[2]، الأمر الذي استدعى لهذا التقابل المتضاد.

كما أن هناك توافقاً صرفياً في الخبر، لتماثله في الاشتقاق الصرفي، وتوافقاً في الصرف، وتناغماً في الصوت في (كفور، فخور)، فجميعها على وزن (فعول) وتنتهي بحرفي الواو والراء في اتفاق الفاصلة القرآنية، فهذا التماثل الصوتي يخلف انسجاماً صوتياً موسيقياً يسهم في تعميق التوازي، كذلك تلك التشابهات في البنى والتركيب تقود للقول إن هذا النموذج هو من أقوى أنواع التوازي التركيبي وضوحاً وتماسكاً.

ومن المواضع التي اشتملت على توازٍ تركيبي في "إن" وأخواتها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[3].

اشتملت الآيات على متوالية رباعية على النحو التالي:

و	إنّه	لـــ	تذكرة
و	إنّا	لـــ	نعلم
و	إنّه	لـــ	حسرة
و	إنّه	لـــ	حق

(1) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـــ)، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت. (د.ط)، (د.ت)، ص: 42.

(2) انظر: أبن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج10، ص: 444-445.

(3) سورة الحاقة، الآية: 48-51.

تكوّن كل طرف من أطراف المتوالية من العناصر التالية:

حرف عطف+ حرف ناسخ "إنّ" + ضمير متصل بمحل نصب اسمها+ لام المزحلقة + خبر"إن".

التوازي بين أطراف هذه المتوالية كان بين مواقع متوازنة، لكنّه قائم على بنى متغايرة، وذلك بين (إنّه) و (أنّا)، وكذلك بتغاير الخبر بين الاسم والفعل (تذكرة، نعلم، حسرة، حق).

ولهذا التوازي التركيبي المرتبط بـــــ"إن" التوكيدية أهمية بالغة، تظهر في توكيد المعنى، إذ إن مجيء هذه الجمل وفقاً لهذه الهيئة التركيبية يقود إلى مزيد من توكيد المعنى والدلالة في نفس المتلقي، وهو ما يقصد إليه هذا التوازي.

يظهر في هذه المتوالية تضاد وترادف، ولكن على أبعاد خفية، منها ما وقع بعلاقة التقارب والتشابه تحت إطار التخالف[1]، كالتقابل الحاصل بين لفظتين (تذكرة) و(حسرة) فالتذكرة قد يقابلها في اللغة (الغفلة)، ولكن وقعت هنا لتناسب المقام؛ لأن المتوالية تسلسلت أطرافها إلى بُعد زماني آخر، بحيث كانت الآيات تتحدث عن القرآن الكريم بأن الله يعلم بمن كذّب بهذا القرآن، وأن هذا التكذيب يؤدي إلى الحسرة يوم القيامة لهؤلاء المكذبين[2]، فالحديث كان بين زمن الحلقة الأولى "مرحلة التكذيب في الحياة الدنيا" ثم إلى زمن الحلقة الثانية" مرحلة الحسرة في الآخرة"، فبهذا كان مقابلة التذكرة بالحسرة أنسب، لما سيكون عليه المكذّبون في الآخرة.

([1]) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 333-336.

([2]) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص:606.

كذلك وقع ترادفٌ بين (تذكرة) و(الحق)، فالقرآن لو لم يكن حقاً لما كان تذكرة للمتقين، فكان الترادف ضمن إطار العام والخاص، فالقرآن تذكرة على الوجه الخاص، وبالعام هو حق[1].

لوحظ في النموذجين الآخرين، أن التوازي اشتمل على اللام المزحلقة التي هي لام مفتوحة، تدخل على خبر "إن" مكسورة الهمزة دون سواها من سائر أخواتها، وهذه اللام زائدة على الترتيب، إلا أنها تأتي لأجل فائدة دلالية تتمثل بالتوكيد على المعنى، فالجملة التي تشتمل على اللام المزحلقة إنما هي زيدت عليها توكيداً إضافياً مع "إن" دون سائر أخواتها[2]، وتجد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم﴾[3].

اشتمل النموذج على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

إن	الأبرار	لـــ	في	نعيم
إن	الفجار	لـــ	في	جحيم

هذا التوازي بين المواقع المتوازنة، أقوى توافقاً من النموذج قبل السابق في التركيب؛ وذلك بأن اسم "إن" هنا ليس متصلاً، وكذلك في تشابه البنى في الخبر، فاتصلت اللام المزحلقة بحرف الجر"في" المتكرر في كلا الطرفين من المتوالية، فكان كل طرف من المتوالية مكوناً من التالي:

حرف ناسخ "إن" + اسمها + لام المزحلقة + جار ومجرور " خبرها"

فيتضح من خلال هذا التركيب أنه توازٍ تركيبي تام، وقائم على بنى متشابهة، كما أن التضاد واضحٌ بين الأسماء (الأبرار) و(الفجار) وفي الخبر بين (لفي نعيم) و(لفي جحيم)،

([1]) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 328.

([2]) انظر: ابن جني، اللمع في العربية، ص: 42.

([3]) سورة الانفطار، الآية 13-14.

فالآيتان تتحدثان عما سيؤول إليه الناس يوم القيامة، فمن كان باراً بالله، مؤمناً به، على نهج نبيّه الكريم، فإنه سيكون يوم القيامة في النعيم المقيم، أما من كان فاجراً كافراً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، فانه سيكون يوم القيامة في الجحيم[1]، فجاءت العناصر متضادة نتيجة لاختلاف ما سيؤول إليه أمر الناس يوم القيامة، فوقعت هذه التقابلات المتضادة ضمن حلقة الزمن الثالث "الآخرة"، فلم تتجاوز أبعاده الزمنية تلك الحلقة بين أطراف المتوالية، ولكن يُلحظ تقابل عناصر كل ضرف على حدة، وذلك بأكثر من بُعد زمني، فمثلاً في الطرف الأول اسم "إن" (الأبرار) وقعت في زمن الحلقة الأولى؛ لأن البر في الحياة الدنيا، فقابلها نتيجة ذلك (لفي نعيم) الواقعة في زمن الحلقة الثالثة "الآخرة" وهكذا في الطرف الثاني، وقد تتضح هذه التقابلات والأبعاد من خلال الرسم التالي:

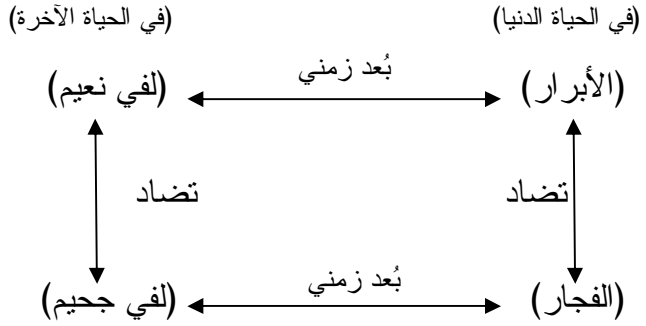

ومما أضفى جمالية أكثرعلى هذا التوازي، أن اسم "إن" في كلا الطرفين ينتهي بصورتين متشابهتين، وهما الألف والراء (الأبرار، الفجار)، وكذلك الخبر ينتهي بصورتين متماثلتين، وهما الياء والميم (نعيم، جحيم).

([1]) انظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 1422ه، ج 10، ص: 147.

ومن هنا قد تظهر لنا قيمة هذا التوازي التركيبي في هذا النموذج، فقد أسهم في تعميق معنى المقارنة بين الطرفين، إذ لا تفاضل بينهما إلا بالتقوى، وحتى على صعيد الجوانب التركيبية، فالتساوي بين الجملتين قائم، وهو ما يقود إلى تساوٍ في المعاملة يوم القيامة، فلا تفاضل إلا بالتقوى.

وفي موضعٍ آخر قد يتقدم خبر "إن" على اسمها في التوازي التركيبي، ومن النماذج على ذلك، ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[1].

اشتملت الآيتان الكريمتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

إنّ	إليــ	ــنا	إياب	هم
إنّ	عليــ	ــنا	حساب	هم

هذا التوازي بين مواقع متوازنة، فكل عنصر في الطرف الأول يماثله عنصر في الطرف الثاني في الإعراب والوظيفة النحوية، وذلك على النحو التالي:

إنّ // إنّ إلى // على ــنا // ــنا إياب // حساب هم // هم

فهذا التشابه التركيبي بين طرفي المتوالية الثنائية يقود إلى القول بأنه توازٍ تركيبي تام، وقائم على بنى متشابهة.

هذا التوازي التركيبي متماسك الأطراف، فقد تشابهت أطرافه في الوظائف النحوية والتركيب، وكذلك في الوزن الصرفي، فرغم ما ذُكر عن هذا النموذج في تشابه الأطراف في البنى والتركيب، فإن هناك توازٍ صوتيٌّ ملحوظ في نهاية حروف كل كلمة، وكذلك كل كلمة

(1) سورة الغاشية، الآية: 25-26.

تمثّل مع ما يوازيها في المقاطع الصوتية، الأمر الذي يقود إلى أن هذه المتوالية من أعلى مستويات التوازي التركيبي تشابهاً في البنى، وتوافقاً في التركيب، وتناغماً في الصوت.

رغم هذه الصور الجمالية لهذا التوازي فإنه يشير إلى موقف موحد، فجميع عناصره تنتمي إلى حقل دلالي واحد، وهو مردّ جميع الناس إلى الله سبحانه، وأنهم جميعا سيرجعون إليه، وأن الله سيحكم بينهم بالعدل، وسيحاسبهم على كل شيء اقترفوه خيراً بخير وشراً بشر[1]، فقام التوازي هنا على الترادف بين عناصره.

التوازي التركيبي بين "إنّ" و" كان" و" ظنّ":

بعد أن أورد الباحث بعض النماذج للتوازي التركيبي في "كان" وأخواتها، و"إن" وأخواتها، ليأتي الآن "ظن" وأخواتها متغايرة مع هذه النواسخ في التوازي، والتي هي تعد من نواسخ الابتداء، فهي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ أو خبر، وفي حال حذفها يبقى للكلام معنى، ومن بين الآيات المكية المشتملة على عناصر التغاير ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُور (14) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**﴾[2].

وقع التوازي في هذه الآيات بين (إنه كان) و(إنه ظن) و(وإن ربه كان)، فقد قامت هذه المتوالية الثلاثية على أساس من البنى المتغايرة، وذلك بين (كان) و(ظن)، كذلك وقع التوازي بعد النواسخ بين النفي والإثبات في (لن) و (بلى) وهذا سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث إن شاء الله في أسلوب النفي والإثبات.

هذا التغاير في البنى والتركيب وفي الأسلوب يقود إلى القول بإن هذا التوازي قائم على دالة التضاد، فالظن يقابله اليقين إذا اعتمدنا على تقابل الدال الغائب بالدال الحاضر[3]،

([1]) انظر: النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3، ص: 636.

([2]) سورة الانشقاق، آية: 13– 15.

([3]) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 333.

فاليقين غائب و"بلى" حاضر، وكذلك تقابل النفي بالإثبات فيما سيحدث للكافرين يوم القيامة من العذاب الشديد، الذي كان في حياته الدنيا مسروراً، ولا ينظر إلى آخرته، بل وصل الأمر به إلى ظنه أنه لن يعود إلى الله سبحانه وتعالى، ثم جاءت الحقيقة أن الله يراه ويسمعه، ومرده إليه لا محال[1]، بحيث وقعت الحقيقة في الطرف الثالث بعد "بلى" التي تقع بجواب فيه جحد لتنفي ما قبلها[2]، وهو ظنهم بالحياة والبعث والحساب، فجاءت " بلى" لتُثبت حياة البعث والحساب وتنفي ما في ظنهم فكان هذا كله بدعم القول بأنه توازٍ قائم على التضاد.

التوازي التركيبي في "كاد" وأخواتها:

يطلق هذا المصطلح على مجموعة من الأفعال التي تندرج تحت ثلاث مجموعات هي: أفعال المقاربة، وأفعال الرجاء، وأفعال الشروع، فهذه الأفعال جميعاً يمكن أن يطلق عليها اسم: "كاد" وأخواتها؛ إذ أنها ناسخة للجملة الاسمية، فترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، ويأتي خبرها دائماً جملة فعلية يغلب أن يكون فعلها مضارعاً، ويقترن بـــ (أنْ كثيراً).

من النماذج التي تشمل على توازٍ تركيبي في " كاد" وأخواتها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلا (73) وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا (74) إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلا﴾[3].

([1]) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج5، ص 298.

([2]) انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 ه)، تمهيد في علم التجويد، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1985م، ص: 188.

([3]) سورة الإسراء، الآية: 73-76.

اشتملت الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثلاثية على النحو التالي:

كادوا	ليفتنونك
كدت	تركن
كادوا	ليستفزونك

يتبيــّن في هذه المتوالية أن التوازي التركيبي اعتمد على "كاد" مسند إليها ضميرٌ متصلٌ، وهي: (كادوا، كدت، كادوا)، ومما يزيد في جمالية هذا التوازي مجيء الفعل المضارع الذي هو في موضع الخبر لـــــ"كاد" متفقاً بإسناده إلى ضمير الرفع، واتصاله بضمير النصب: (ليفتنونك) و(ليستفزونك).

اعتمدت هذه المتوالية على التضاد بين (كادوا) و(كدت)، وذلك للحديث عن بعض أحوال أهل مكة وشركهم، فإنهم حاولوا أن يفتنوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الدين القيم، فيفتري على الله غير الذي أوحاه إليه، إلا أن الله _سبحانه وتعالى_ قد ثبته على الحق، فحاولوا أن يضايقوه كي يخرجوه من الأرض، فبيــّن سبحانه أنهم لا يبقون بعده إلا زماناً قليلاً[1]، فهذا التقابل بين (كادوا ليفتنونك) و (كدت تركن) ثم عاد الحديث بـــ"كادوا" في (كادوا ليستفزونك)، فاعتمدت على التضاد برغم انتماء عناصرها إلى حقل دلالي واحد، وهو الحديث عن بعض أحوال أهل مكة وشركهم ومضايقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

كما يُلحظ توافق الخبر في الطرف الأول مع الطرف الثالث وتغايرت الأطراف مع الثاني، فيكون الطرف الأول "كادوا ليفتنونك" مشابهاً لـــ"كادوا ليستفزونك"؛ وذلك في الناسخ، وفي الضمير المتصل، فجميعها أفعال مضارعة، وحتى في اتصالها باللام الفارقة بين النفي

(1) انظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج2، ص: 272.

والإثبات، وعلى الرغم من وجود تغاير بين الأفعال المضارعة بما لحق بها، إلا أن هناك تشابه في بنيتها (تركن، يفتن) إن جُرِّدَت من اللواحق.

ويمكن أن يأتي التوازي التركيبي في "كاد" وأخواتها قائماً على التغاير والاختلاف، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[1].

اشتملت الآيتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

كِدْتَّ	لتردين
كنْتُ	من المحضرين

هذا التوازي قائم على البنى المتغايرة، وذلك بين (كِدتَّ) و(كُنتُ)، وكذلك الخبر بين الفعل (تردين) والاسم (محضرين).

أما "إنْ" الواقعة قبل "كدْتَ" فهي المخففة من الثقيلة، وهي كثير ما تتصل بالأفعال الماضية الناسخة للابتداء، نحو هذه الآية الكريمة[2].

قامت هذه المتوالية على دالة التضاد رغم انتمائها لحقل دلالي واحد، وهو ما يقع من حوار بين المؤمن وهو في الجنة، وقرينه والشياطين حيث يدخل النار، فإن المؤمن يقسم بالله أنه لو اتبع هذا القرين لهلك في النار، ولكان من أهل العذاب[3]، فكانت التاء في (كِدْتَّ) تاء المخاطب، والتاء في (كُنتُ) تاء المتكلم، كما في هذا التقابل أبعاد زمنية بين الحلقة الأولى "الحياة الدنيا" والحلقة الثالثة "الآخرة الأبدية"، بحيث لو اتّبع هذا القرين في الدنيا، لكان الهلاك في الآخرة.

([1]) سورة الصافات، الآية: 56-57.

([2]) انظر: الأشموني، شرح على ألفية ابن مالك،ج 1، ص: 318.

([3]) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص: 474.

وبعد هذا العرض للنماذج من القرآن المكي التي اشتملت على توازٍ تركيبي ضمن الجملة الاسمية ولواحقها يصل الباحث إلى بعضٍ من النتائج الآتية:

1. أسهم التوازي التركيبي في الآيات المكية بتعميق المعنى في بعض أحوال الجملة الاسمية، كما دل على العدالة الإلهية، وذلك في توازي آيات الحساب، فالحديث عن أهل الهداية يوازيه في التركيب الحديث عن أهل الضلال.
2. غالباً ما يكون التوازي التركيبي تاماً في الجملة الاسمية.
3. أسهم التوازي في تقديم الخبر على المبتدأ بتوافق الفاصلة القرآنية في أطراف المتوالية، وكذلك أسهم تنكير المبتدأ المؤخر المعتل الآخر ليصبح منقوصا، ليوافق ما يقابله في تشابه البنى، كما في آية الأعراف بين (مهادٌ) و(غواش).
4. غلب على التوازي في " إنّ " وأخواتها دخول اللام المزحلقة على خبرها، وقد يكون سبب ذلك أن الأخبار كانت في مقام توكيد، فجاءت لتزيد هذا التوكيد في كل أطراف المتوالية.
5. غلب على التوازي بين النواسخ التغاير بينها، وكذلك التغاير في بنى الخبر.

الفصل الثاني

التوازي التركيبي في الجملة الفعلية

الفصل الثاني
التّوازي التّركيبيّ في الجملة الفعليّة

يتناول هذا الفصل الحديث عن التوازي التركيبي في الجملة الفعلية، فقد يقع التوازي في الجملة: اسمية وفعلية على حدّ سواء؛ لأنّ كلّا منهما يشكّلُ عناصر الإسناد، من مسند ومسند إليه، تلك العناصر التي منحها النحاة اهتمامهم، واعتمدوها في بناء الكلام وعناصر الجملة، فيما عدّوا ما خرج على المسند والمسند إليه فضلات، والتوازي التركيبي في الجملة الفعلية هو مدار الحديث لهذا الفصل.

للجملة الفعلية ركنان أساسيان هما: الفعل والفاعل؛ إذ لا يصح أن يُطلق على جملة فعلية أنها فعلية إلا إذا اشتملت في حدها الأدنى على الفعل والفاعل، وهما العمدة التي تقوم عليهما الجملة الفعلية، وقد يزاد على هذين الركنين المفعول به، وبعض عناصر المكملات الفعلية، فالجملة الفعلية قد يكون فعلها لازماً، وقد يكون متعدياً، ووفقاً لنوعيها يظهر لنا مكوناتها التركيبية[1].

وعليه، سيكون تقسيم محاور البحث في هذا الفصل، بناء على الجمل الفعلية لازمة الفعل ومتعدية الفعل؛ ليتناسب هذا التقسي مع موضوع التوازي التركيبي، فمثلاً لو كانت أحد محاور البحث في هذا الفصل: (التوازي التركيبي في المفعول به) لأوحى هذا العنوان إلى أن التوازي بين المفاعيل فقط، فهذا قد يكون في التوازي الصرفي، وليس في التركيبي؛ لأن التوازي التركيبي يعنى بالتوازي على مستوى الجملة، وليس الكلمة.

([1]) انظر: الجارم، علي، وأمين مصطفى: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ط، ود.ت، ج: 1، ص: 313.

وعليه، سيورد الباحث بعض النماذج القرآنية للتوازي التركيبي في الجملة الفعلية، على النحو التالي:

التوازي التركيبي في الجملة الفعلية لازمة الفعل:

الفعل اللازم هو: "ما لا يصل إلى مفعوله إلا بحرف جر"[1]، فعليه، سيكون البحث في النماذج القرآنية هنا بالآيات المكية التي اشتملت على توازٍ تركيبي بين جمل مركبة من: (الفعل والفاعل) فقط، ومن النماذج القرآنية على ذلك، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [2].

اشتملت الآية الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية، مكونة من: فعل لازم و فاعله، كما أنها تماثلت بين مواقع متقابلة؛ لارتباط أطرافها بفعلٍ سابق (قل)، فكانت كالتالي:

قل ——— جاء الحق
زهق الباطل

التوازي التركيبي هنا تام، ومتوافق صرفياً في الفعل الثلاثي اللازم، ولكنه قائمٌ على بنى متغايرة في الفاعل.

كما أن التوازي في هذه المتوالية قائم على التضاد في جميع عناصره، فقبل نزول هذه الآية كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فكانت بعض القبائل العربية تحج إليها، ومنهم من ينحر لها، فشكا البيت إلى الله من ذلك، فلما نزلت هذه الآية في يوم الفتح، قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنماً صنما، وهو

(1) ابن عقيل، عبد الله بن عبدالرحمن العقيلي الهمداني (ت769هـ): شرح على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة–مصر، 1400هـ، 1980م، ج: 2 . ص: 145
(2) سورة الإسراء، آية: 81

ينكت بالمخصرة في عينه ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا[1]، ومنهم من اختلف في تفسير (الحق) و(الباطل)، فرجّح بعضهم أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن الحق قد جاء، وهو كل ما يرضي الله، وزهق ما لا يرضي الله، وما هو للشيطان طاعة[2]، فأيّاً كان سبب النزول فإنه يُلحظ التضاد بين الأفعال الماضية، وكذلك بيّن في الفاعل؛ فالفعل (جاء) يقابله الدال الغائب وهو (ذهب)، الذي يتناسب مع الدال الحاضر (زهق)، ولتناسب الحاضر بالغائب تناسبت المقابلة بين (زهق) و(جاء)، وكذلك لتدل لفظة (زهق) على ذهابه وزهوقه وبطلانه معاً، أما التضاد في الفاعل فكان بين (الحق) و (الباطل)، فجاءت الأفعال في التوازي على صيغة الماضي؛ لتدل على انقضاء الأمر وثبوته، وعلى فعل لازم، ليأخذ الفاعل صفة التعميم، فلم يتعدَّ بقول: (جاء الحق بالقرآن) أو (بالجهاد)، إذ قال بعض المفسرين: "الصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة، فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه"[3]، وكذلك الأمر في طرف المتوالية الثاني.

يرى الباحث أن التضاد في الفاعل بين (الحق) و (الباطل)، يدل على أن الحق هو من أقوى الألفاظ لوصف الثبوت والعلو، وكل ما يرضي الله، وأن الباطل أقوى ما يوصف به عمل الشيطان؛ لعدم ثبوته، فهو زائل منتهٍ وزاهق، فلو لم تكن كذلك لما قابل الله _سبحانه وتعالى_ هاتين اللفظتين ببعضهما، كما يرى الباحث أن العطف يفيد أن علاقة التوازي التركيبي بين الجملتين علاقة سببية؛ فلو عُطِفت الجملة (جاء الحق) على(زهق الباطل) لكان زوال الباطل لا

([1]) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 2 ، ص: 689.

([2]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 10 ، ص: 315

([3]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 10 ، ص: 315

علاقة بمجيء الحق، ولكن كانت العكس؛ لتفيد أنه بسبب مجيء الحق زهق الباطل، فهذا الترتيب في المتوالية أضفى جمالية أكثر للتوازي فيها.

وكذلك من النماذج القرآنية على التوازي التركيبي في الجملة الفعلية لازمة الفعل، ما جاء في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [1].

اشتملت الآية الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

–	اقتربت	الساعة
و	انشق	القمر

هذا التوازي في أطراف المتوالية بين مواقع متوازنة؛ لتوافقها في الوظائف النحوية، وهو توازٍ تركيبي تام؛ إلا أنه يُلحظ تغاير البنى في الفاعل بين المذكر والمؤنث.

قرأ حذيفة: (وقد انشق القمر)، بزيادة (قد)، وعلى هذا الجمهور من العلماء أنه وقع ذلك وثبت، وقيل إن الآية على التقديم والتأخير، وتقديره: (انشق القمر واقتربت الساعة) [2]. فيرى الباحث أنه لو كان على تقدير التقديم والتأخير، فإنه أضفى جمالية أكثر للتوازي؛ إذ جاء لموافقة الفاصلة القرآنية في (القمر) لما يليها من الآيات (مستمر، مستقر، مزدجر) وبقية الآيات، والتقديم هنا جاء مناسباً للسياق القرآني، بحيث بدأ بالأهم، وهو (اقتراب الساعة) ثم بالجزء، فالعطف في المتوالية جاء ليعطف الخاص على العام؛ فانشقاق القمر علامة من علامات اقتراب الساعة، فبذلك كان طرف المتوالية الثاني سبباً للأولى، فعلاقة التوازي في المتوالية علاقة سببية، كالنموذج السابق.

([1]) سورة القمر، آية: 1

([2]) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 17 ، ص: 116–117.

فيُلحظ تقابُل (انشق) بـــ(اقتربت)؛ فالانشقاق يدل على الافتراق، بعكس معنى الاقتراب، إلا أن هذا على المستوى السطحي، فالمتوالية غلب عليها الترادف، لانتمائها إلى حقلٍ دلالي واحد، وهو: أن يوم القيامة اقترب، وجاءت بعلامة من علامات هذا الاقتراب، وهي انشقاق القمر، فقد اختلف بعض المفسرين في تفسير انشقاق القمر، ولكن اتفق الأغلب على أن هذا الانشقاق قد وقع في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات، وهذا ما تواتر في الأحاديث الصحيحة[1]. فكان الطرف الثاني من المتوالية، جزءاً من الطرف الأول، من دون تقابل في العناصر على المستوى العميق، وهذا مما أضفى جمالية أكثر لهذا التوازي.

التوازي التركيبي في الجملة الفعلية متعدية الفعل:

الفعل المتعدي هو: "هو الذي يصل إلى مفعوله بغير حرف جر نحو ضربت زيدا"[2]، فهي متعدية بنفسها من دون واسطة، فالمتعدي قد يتعدى إلى مفعول واحد، وقد يتعدى إلى مفعولين أو أكثر، وعليه، سيتم البحث في نماذج القرآن المكي التي اشتملت على توازٍ تركيبي بين جمل مركبة من: (فعل وفاعل ومفعول به) كحد أدنى، ثم البحث بما تعدى إلى أكثر من مفعول.

ومن نماذج القرآن المكي على التوازي التركيبي في الجملة الفعلية متعدية الفعل ماجاء في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[3].

([1]) انظر: الغفيلي، عبد الله بن سليمان، أشراط الساعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـــ، ج:1 ، ص: 48.

([2]) الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 2 ، ص: 145.

([3]) سورة النبأ، آية: 19–20.

تشتمل الآيتان الكريمتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

فُتِحتِ	السماءُ	فكانت	أبواباً
سُيِّرتِ	الجبالُ	فكانت	سراباً

كل طرف من أطراف المتوالية الثنائية مكون من العناصر الآتية:

فعل ماضٍ مبني للمجهول + نائب فاعل + فعل ناسخ +اسم الناسخ **(ضمير مستتر)**+ خبر الناسخ

هذا التركيب المتوازي تام، وهو بين مواقع متوازنة؛ فجميع العناصر متوافقة فيما بينها في المواقع الإعرابية والوظيفة النحوية.

اشتملت كل آية على جملة فعلية تبدأ بالفعل الماضي المبني للمجهول: (فُتِحت، وسُيِّرت)، فالبناء للمجهول قائم على أساس حذف الفاعل، فإذا حُذف الفاعل بقيت الجملة بغير مرفوع بعد الفعل، وقد استقبحت العرب أن يأتوا بالفعل من غير مرفوع بعده، فأقاموا المفعول به مرفوعاً بِعَدّه نائباً للفاعل[1]، كما أن للفعل المبني للمجهول أنساقاً تركيبية صوتية تدل عليه، وتشير إلى أن الفاعل محذوف من الكلام، وأن المرفوع الذي يلي الفعل ما هو إلا نائب للفاعل، وذلك بضم أول الفعل، وكسر ما قبل الآخر إذا كان ماضياً، وفتح ما قبل الآخر إذا كان مضارعاً[2]، فلم يكن الإيقاع الصوتي غائباً، فتحريك التاء الساكنة بالكسر منعاً لالتقاء الساكنين، أضفى صورة جمالية تناغمية، إضافة إلى الصورة الوظيفية في تسهيل النطق، وجعل الكلمات متسقة بقواعد العربية.

([1]) انظر: ابن الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس: علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ، 1999م، ص: 277.

([2]) انظر: ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر: الكافية في علم النحو، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 2010م، ص: 46.

هذا التوازي التركيبي قائم على أساس البنى المتشابهة؛ إذ توافقت بنيات الكلام التركيبية في طرفي المتوالية الثنائية، على ما بينا أعلاه، ولم تتغاير إلا في البنية الصرفية لخبر الناسخ، ومما أضفى للمتوالية الثنائية جمالية أكثر؛ أن (السماء) جاءت بلفظة المفرد، ليتوافق نائب الفاعل بين المفرد والجمع في اللفظ، فـــ(السماء) توازي (الجبال) لفظاً.

كما أن الترادف غلب على هذه المتوالية؛ لأن الآية الكريمة تصف الحال الذي ستكون عليه السماء والجبال يوم تقوم القيامة، وهي حال مخيفة رهيبة، تتفتح فيها السماء، وتتشقق حتى تصير كأنها أبواب، وتتحطم الجبال، وتُسيّر حتى تصير كأنها سراب، وذلك لهول ذلك اليوم الذي تقوم فيه الساعة[1]، فترادفت المتوالية في وصف هذه الأهوال، كما أن هناك تقابل لبُعد مكاني على مستوى عمودي؛ وذلك بين الجبال والسماء؛ لأن الجبال في الأرض، والأرض تقابل السماء، إلا أن هذا التقابل غير مباشر وقد يقابل الله سبحانه الأرض بالسماء ويردف الجبال بذكر الأرض، كأنها خلْق مستقل عن الأرض؛ لأن الجبال تختلف عن الأرض إن أردنا مستوى الارتفاع والعلو، فقد تكون هنا كذلك، ليربطها صفة العلو، وذُكرت الجبال مستقلة عن الأرض لأكثر من مرة في القرآن، ونجد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[2]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[4]، كما نجد أن المتوالية تتحدث عن حدثين: الأول: انفتاح السماء، والثاني: تسيير الجبال، وهذان الحدثان

([1]) انظر: النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج: 3، ص: 591 – 592.

([2]) سورة الأحزاب، آية: 72.

([3]) سورة الحاقة، آية: 14.

([4]) سورة المزمل، آية: 14.

سيقعان يوم القيامة لا محالة، الأمر الذي يشير إلى قربهما زمنياً، لتتقابل العناصر هنا بالبُعد الزمني ضمن الحلقة الثالثة (الحياة الآخرة الأبدية)، فالتوازي التركيبي في هاتين الآيتين، والعطف بينهما، يقود إلى القول بالتزامن التام بين هذين الحديثين، فعند تفتّح السماء، ستسير الجبال مباشرة، وما هذا التزامن إلا نتيجة لوجود التوازي بين هاتين الآيتين الكريمتين، ومن ناحية أخرى فإن هذا التوازي التركيبي يشير للمتلقي إلى تساوي هذين الحدثين في الشدة والقوة والتأثير في النفس، فتساويهما في التأثير ناشئ من توازيهما تركيبياً، ومما أضفى جمالية أكثر لهذا التوازي التركيبي هو اتفاق الفاصلة القرآنية في أطراف المتوالية، فقد جاءت جميعها متفقة بثلاثة حروف في (أبوابا، سرابا).

وفي موضعٍ آخر للتوازي في ذلك، ما جاء بين التعميم والتخصيص في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[1].

اشتملت الآيتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

عطف	فعل	فاعل	متعلقان بالفعل		مضاف إلية	مفعول به	متلقان بالفعل	
ثم	بعثـ	ـنا	من	بعد	ه	رسلاً	إلى	قومهم
ثم	بعثـ	ـنا	من	بعد	هم	موسى وهارون	إلى	فرعون

رغم زيادة عناصر هذا التوازي التركيبي إلا أنه تام، وكان بين مواقع متوازنة، فهذا يعني بقوة هذا التوازي وجماليته، كما أنه مترادف في جميع عناصره، بحيث أرسل الله من بعد نوح رسلاً لقومهم ثم أرسل كذلك موسى وهارون إلى فرعون وملئه[2]، فترادفت العناصر إلى

([1]) سورة يونس، آية: 74 – 75

([2]) انظر: السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000م، ص: 369 – 370.

هذا الحقل الدلالي الموحد، وتوازت متسلسلة من التعميم في (رسلاً إلى قومه) ثم إلى التخصيص في الطرف الثاني في (موسى وهارون إلى فرعون).

ومن نماذج القرآن المكي على التوازي التركيبي في الجملة الفعلية متعدية الفعل ماجاء في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1].

تشتمل الآية على أكثر من متوالية، وتظهر أولى ملامح التوازي على النحو التالي:

يولج	الليل	في	النهار
يولج	النهار	في	الليل

هذا التوازي بين مواقع متوازنة، وهو توازٍ تركيبي تام، فكانت عناصر كل طرف من أطراف المتوالية مكوّناً من التالي:

فعل مضارع + مفعول به + جار ومجرور متعلقان بالفعل

في المتوالية تظهر دلالة التداخل، وأول مفردة تحدد معنى التداخل هي (يولج)، التي اشترك فيها كلا الطرفين من المتوالية، أي تداخل الليل في النهار والعكس[2]، فتجد التداخل على مستوى عناصر كل طرف، والتضاد بين لفظتي (الليل) و(النهار) بين عناصر الطرفين، فاللفظة في يمين الطرف الأول تجدها في شمال الطرف الثاني والعكس، وذلك على النحو التالي:

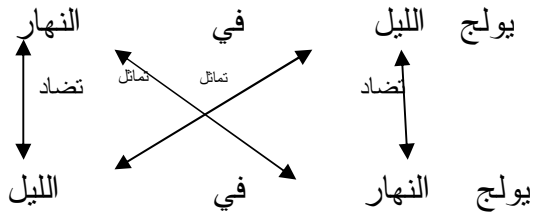

([1]) سورة فاطر، آية: 13

([2]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 339 – 340

وكذلك يظهر في المتوالية توازٍ آخر بين لفظة (الشمس) و(القمر) في قوله تعالى: **(وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى)**، فكان هذا التوازي بين مواقع متقابلة ارتبطت عناصر بما قبله وبعده على النحو التالي:

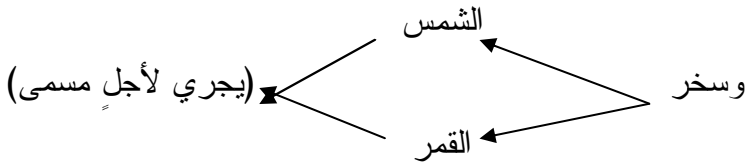

فهذا التوازي بين الظواهر الكونية بتعاقب الليل والنهار بهذا النظام البديع؛ يدل على مظاهر فضل الله ورحمته، بأن أوجد الليل والنهار وأدخلهما ببعض وجعلهما متعاقبين، مع زيادة أحدهما عن الآخر في الزمان على حسب اختلاف المطالع والمغارب، وأوجد الشمس والقمر، لمنفعة البشر، وكل واحد يسير بنظام بديع محكم إلى أجل حدده الله سبحانه وتعالى[1]، فجاءت هذه المتواليات منظمة؛ ليتأمل القارئ ويستشعر قدرة الله على هذا الترتيب في تعاقب الليل والنهار وتداخلهما وجريان الشمس والقمر بهذا النظام المحكم من خلال التوازي التركيبي بينهما.

ومن النماذج التي جاءت قريبة جداً لهذا النموذج، ولكن هنا تمثل دلالة أخرى، وهي دلالة الانبثاق، التي تتصل بدلالة التداخل، وتخالفها الاتجاه؛ إذ إنّ التداخل ينتج من تداخل الأشياء ببعضها، والانبثاق بانبثاقها عن بعضها[2]، فتجد ذلك في قوله تعالى: **﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾**[3].

([1]) انظر: الطنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى،1998م، المجلد:11 ، ص: 335

([2]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 341

([3]) سورة الروم، آية: 19

أظهرت هذه الآية أكثر من متوالية، فالمتوالية الأولى ثنائية، بدأت بدلالة الانبثاق من الفعل (يُخرِج) فكان التوازي فيها كالتالي:

يُخرِج	الحي	من	الميت
يُخرِج	الميت	من	الحي

هذا المتوالية بين مواقع متوازنة، وتمثّل توازياً تركيبياً تاماً، وتوازت فيها الألفاظ متضادة، واختلفت فيها مواقع الألفاظ المتماثلة كما في النموذج السابق، وذلك على النحو التالي:

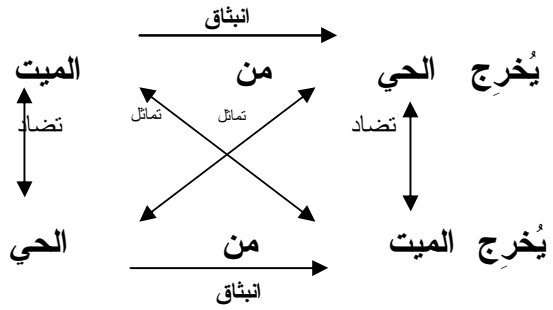

هذا في شأن المتوالية الأولى، أما المتوالية الثانية بين (يحيي الأرض بعد موتها) وبين (كذلك تُخرجون)، فكأن التقدير هنا:

يحيي الأرض بعد موتها
تُخرجون بعد موتكم

التشبيه جاء هنا بـــــ (كذلك تُخرجون) ولم يقل سبحانه وتعالى: كذلك تحيون، الأمر الذي جعل (تُخرَجون) تشترك في جميع أطراف المتواليات السابقة في الآية، يقول بعض المفسرين أن معنى حملة (تُخرَجون) هو أنكم كما يُخرَج الميت من الحي والعكس، ستُخرَجون من القبور وتُبعثون، فالإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر[1]، فجمع _سبحانه

(1) انظر: الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد (ت538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ،1998م، ج: 4 ، ص: 571

وتعالى_ بـــ (تُخرَجون) بين إخراج الحي من الميت والميت من الحي وبين إحياء الأرض بعد موتها، فبهذا كانت الأطراف السابقة للمتوالية كأنها بمقام إثبات للطرف الأخير، فاتصل الطرف الأول من المتوالية الثانية بأطراف المتوالية الأولى، لتصبح بمواقع متقابلة للطرف الأخير، على النحو التالي:

يخرج الحي من الميت
يخرج الميت من الحي ـــــ (كذلك تُخرَجون)
يحيي الأرض بعد موتها

فلذلك كانت "جملة (تُخرَجون)" متغايرة في الفعل المضارع، فكان الفعل مبنياً للمجهول، والضمير المتصل فيه نائباً للفاعل.

وقد تأتي المتوالية أكثر من ثلاثية في الجمل متعدية الفعل، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوه (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه﴾[1].

اشتملت الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية كلامية رباعية على النحو التالي:

	----	خذ	ـو	هُ
فـ	----	غلّـ	ـو	هُ
ثم	الجحيم	صلّـ	ـو	هُ
ثم	في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعًا	--	--	--
فـ	----	اسلُكـ	ـو	هُ

توازي فعل الأمر هنا يُعد النمط الثالث من أنماط الأفعال، ويعني ما وقع من الطلب من المتكلم للمخاطب، فيقول له: افعل، على صفة الأمر لا على صفة أخرى[2]، فالأمر "استدعاء الْفِعْل بالْقَوْل مِمَّن هُوَ دونه، وَقيل: الطّلب الْجَزْم والاقتضاء الحتم، وَقيل: طلب اتِّحَاد الْمَأْخُوذ"[3].

([1]) سورة الحاقة، آية: 30 – 32.

([2]) انظر: الجرجاني: التعريفات، ص: 37.

([3]) السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: 66.

التركيب في المتوالية متغاير في بنية أفعال الأمر، ولكن تشابهت في ارتباطها بواو الجماعة (الفاعل) والهاء (المفعول به) وهو ما منحه مزيداً من التوافق والتناسق بين أطراف هذه المتوالية الرباعية.

توالى التوازي التركيبي بالعطف، فتوالي حروف العطف في المتوالية أضفى جمالية أكثر في ربط أطرافها، إذ تكرر العطف بين (ثم) و الفاء، فحروف العطف لها تأثير في المعنى الدلالي لهذه المتوالية؛ لاختلاف معاني ودلالات حروف العطف، فعُطِفت الجملة الثانية على الأولى بفاء التعقيب، وعُطفت الثالثة بـــ(ثم) التي تفيد التراخي، وكذلك عُطِفت الجملة (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) بحرف العطف (ثم) وهي جملة ربطت الجملة (فاسلكوه) في المتوالية، وكذلك عُطفت اسلكوه بالفاء.

العطف بـــ(ثم) في جملة (ثم الجحيم صلوه) للتراخي الرتبي، وليس الزمني؛ لأن المقام مقام تهديد وتهويل، والتهديد بتوالي العذاب أشد من تفريقه في الأزمنة، وتكرر العطف في الجملتين الأخيرتين (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه)، ولم يتكرر في الطرف الثالث من المتوالية (ثم الجحيم صلوه)، فلم يكتفِ بـــ(ثم) التي عطفت الجملة قبله، فهذا يعني أن تكرار العطف في الجملتين الأخيرتين ليس لمعطوف واحد؛ ولكن عَطَفت (ثم) قول مضمر على قول أضمر قبل قوله تعالى: (خذوه) أي قيل لخزنة النار: (خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه) ثم قيل لهم: (في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً) فتكون الفاء لعطف المقول على المقول مع إفادة معنى التعقيب، و(ثم) لعطف القول على القول مع دلالة أن الأمر الأخير أشد وأهول مما قبله[1].

([1]) انظر: الحنفي، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي(ت951هـــ)، حاشية محيي الدين شيخ زاده، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، الطبعة الأولى، 1999م،1419هـــ، ج: 8، ص: 322

كما أنَّ في الآية الثانية والثالثة، تقديماً وتأخيراً؛ لأن أصل المعنى في الثانية هو: ثم صلّوه في الجحيم، وفي الثالثة هو: ثم اسلكوا فيه سلسلة[1]، وكان التقديم لما هو أهم، وذلك لتعجيل المساءة، وللحفاظ على الفاصلة[2]، وهذا ما أضفى جمالية أكثر للتوازي في هذه المتوالية.

أما دالة هذا التوازي فتتمثل بدالة الترادف؛ إذ جاءت هذه السلسلة الكلامية متسلسلة في وصف حال الكافر يوم القيامة عند أخذه إلى نار جهنم، فالخطاب لزبانية جهنم بأن يأخذوا هذا الكافر، فيقيدوه في سلسلة قياسها سبعون ذراعاً، ثم يدخلونه في نار جهنم[3]، فترادفت أفعال الأمر والعطف فيها، ودلَّت على سرعة تحول هذا الكافر إلى نار جهنم، وتوالي مراحل عذابه إلى الأشد والأهول، لذا جاءت متوازية مع بعضها بعضاً ضمن سياق الآيات الكريمة، كما يربط أطراف المتوالية بُعد حركي رأسي يتشكّل بأفعال الأمر، ويبدأ من فعل الأمر (خذوه) وتسلسل لينتهي في (فاسلكوه).

وقد يتعدى الفعل إلى مفعول مطلق، الذي هو: "اسم ما، صدر عن فاعل فعل مذكور بمعناه، أي بمعنى الفعل" [4]، ومن النماذج في القرآن المكي على ذلك، ماجاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾[5].

([1]) انظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة السادسة، 1985م، ص: 913.

([2]) التونسي، محمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، ج:29،ص: 138

([3]) انظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج: 10، ص: 261 – 262.

([4]) الجرجاني: التعريفات، ص: 224.

([5]) سورة عبس، آية: 25 – 26.

تشتمل الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية، يمكن توضيحها كالتالي:

--	صببنا	الماءَ	صبا
ثمَّ	شققنا	الأرضَ	شقاً

هذا التوازي التركيبي بين المواقع المتوازنة، اعتمد على التماثل في كل طرف في تشكيله وتركيبه، كما أن هناك تماثل بين الفعل والمفعول المطلق، وذلك في: (صببنا، صبا) و (شققنا، شقا)، وأيضاً كل وحدة كلامية ضمن الطرف الأول من المتوالية تساوي ما يقابلها من الوحدات الكلامية في الطرف الثاني، فتكوّن كل طرف من طرفي المتوالية من العناصر التركيبية الآتية:

فعل ماضٍ + ضمير متصل في موضع الفاعل + مفعول به + مفعول مطلق

فالتوازي التركيبي في هذه المتوالية من هذا التركيب يتضح أنه قائم على أساس البنى المتشابهة؛ إذ توافقت بنيات الطرف الأول، مع بنيات الطرف الثاني في المتوالية، واعتمد التوازي التركيبي على غير دالة، فتظهر دالة الترادف في الوحدات الكلامية (الصب، والماء، والشق، والأرض) فجميعها وحدات كلامية تنتمي إلى حقل دلالي واحد، لتشير إلى الأمر الرباني بالتأمل في خلق الله سبحانه وتعالى، كيف أنه _سبحانه وتعالى_ قد صب الماء، وأنزل المطر، ثم إنه شق الأرض، فخرج منها النبات والطعام الذي يأكله الإنسان، كل هذا لا بد للإنسان أن يتأمل فيه، وينظر في خلقه سبحانه وتعالى، فيؤدي به ذلك إلى الإيمان بالله وحده[1]، فهذا ما يخص الترادف، ولكن يُلحظ التضاد بين (الماء) و(الأرض) وذلك باعتماد تقابل الدال الغائب بالدال الحاضر؛ ليقع بين اليابسة "دال غائب" والماء "دال حاضر"، فالماء يُصب، والأرض تُشق، فيقع هذا التقابل على بُعد حركي رأسي من نزول المطر على الأرض.

([1]) انظر: الجوزي: زاد المسير، ج: 4، ص: 402 – 403.

ومما يزيد في قوة هذا التوازي، المرتبط بالمفعول المطلق ويمنحه شيئاً من التماسك، أن هناك تماثلاً بين العناصر الأخرى في طرفي المتوالية، فالمفعول به: (الماءَ، والأرضَ) معرفتان، تشيران إلى التناسق، والفعل الماضي المبني للمعلوم في أول أطراف المتوالية يزيدها توازياً.

وتظهر لنا فائدة هذا التوازي من الناحية الدلالية في أن المتوالية عُطِف بين طرفيها بحرف العطف: ثم، الأمر الذي يشير إلى التعقيب مع المهلة، فهذا التعقيب يجعل من مراحل كل طرف من المتوالية متوازناً، فالله قد صب الماء صباً، فناسب أن تتشق الأرض شقاً، وذلك مناسبة للحالة السابقة التي كان عليها انصباب الماء، وهو تماسك دلالي ضمن المتوالية الكلامية.

ويُلحظ ضمن هذه المتوالية توازي الأصوات في الموقف القرآني، فالصاد بما يمثله من همس في مخرجها، أو الهدوء في الحركة يُلائم صب الماء، الذي أنزله الله رحمةً لعباده، ثم استخدم القاف المقلقل في المتوالية الثانية ليصور لنا حالة تشقق الأرض؛ لتخرج النبات والمزروعات لتضفي على النص معنى متكاملاً متجانساً إيقاعياً وتناغماً جمالياً يزيد في سبر التوازي التركيبي بين ثنايا المتواليات.

ومن النماذج القرآنية الشبيهة بما سبق ذكره في المفعول المطلق، ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1].

([1]) سورة الفجر، آية: 19 – 20.

اشتملت الآيتان الكريمتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

تأكلون	التراثَ	أكلاً	لماً
تحبون	المالَ	حباً	جماً

في هذه المتوالية الثنائية تماثل بين الفعل والمفعول المطلق كما في النموذج السابق؛ وتشكّل كل طرف من طرفي المتوالية كالتالي:

(فعل مضارع + واو الجماعة "فاعل" + مفعول به + مفعول مطلق + صفة للمفعول المطلق)

فبهذا التركيب المتوازي، بين المواقع المتوازنة، يتضح أنه توازٍ تركيبي تام؛ لتوافق بنيات الكلام بين أطرافها وتساويها، ولكنه قائم على بنى تركيبية متغايرة؛ وذلك بتغاير بنية الأفعال والمفعول المطلق.

يتّضح أن هذا التوازي اعتمد على الترادف، بحيث ترادفت الألفاظ في الآيتين الكريمتين عن الإنسان وطبيعته، بأن الله أكرمهم بالمال ولم يؤدوا ما يلزمهم من إكرام اليتيم، وأنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم، مع حبهم للمال حباً جمًّا كثيراً مع الحرص الشديد[1]. فبشيء من التجوّز يمكن القول بأن المال والتراث فيها نوع من الترادف، وكذلك اللم والجم، وهذا كله يقود إلى أن هذا التوازي التركيبي في المتوالية قائم على دالة الترادف، فالترادف والتوازي في التركيب هنا له دورٌ في تشكيل المعنى والدلالة؛ إذ تساوت الجملتان في التركيب، الأمر الذي يقود إلى تساوي هاتين القيمتين في حياة الإنسان، وهما: حب المال، وأكل التراث، ومن هنا جاءتا ضمن سلسلة كلامية ذات طرفين متوازيين.

([1]) انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 6، ص: 372

التوازي التركيبي بين الجملة الفعلية لازمة الفعل ومتعدية الفعل:

الأفعال اللازمة لا تتعدى الإ بالجر، فقد يكون التوازي التركيبي بين جمل لازمة الفعل ومتعدية الفعل بحرف الجر، أو بين أفعال لازمة ومتعدية بنفسها، ومن نماذج القرآن المكي على التوازي التركيبي المتغاير بين اللازم والمتعدي ماجاء في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

تشتمل الآيتان الكريمتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثلاثية على النحو التالي:

يوفـــ	ون	بالنذر
يخافـــ	ون	يوماً
يطعمـــ	ون	الطعام

تُلحظ أولى ملامح التوازي التركيبي في أطراف المتوالية؛ باشتمالها على فعل مضارع من الأفعال الخمسة، التي تُسند إلى ضمير الرفع الدال على جماعة المذكرين، وهو ضمير "الواو"، فالأفعال الخمسة في هذه الحالة التي تسند فيها إلى واو الجماعة تكون دالة على اشتراك الفعل بين مجموعة من الفاعلين، ولما كان لا يصح جمع الفعل، أُسند إليه ضمير دال على جماعة الفاعلين[2].

التوازي التركيبي قائم على البنى المتغايرة؛ إذ تغايرت بين فعل متعدٍّ بحرف الجر ومتعدٍّ بنفسه، وتغايرت فيما بعدها بين مفعول به وجار ومجرور متعلقين بالفعل.

وعليه، فإن التوازي التركيبي في المتوالية الثلاثية قائم على البنى المتغايرة، ويتضمن في معناها الترادف، بحيث تحدثت الآيتان الكريمتان عن المؤمنين الذين سيجزيهم الله –سبحانه

([1]) سورة الإنسان، آية: 7 – 8.

([2]) انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزباني: شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، ج: 1، ص: 148.

وتعالى– الجنة يوم القيامة؛ إكراماً لهم لما كانوا عليه من أمر عبادة الله _سبحانه وتعالى_ وفعل الخيرات، فإنهم كانوا يوفون بالنذر، ويؤدون ما عليهم من واجبات ووعود، ويخافون يوم القيامة؛ لذا فهم يعملون له بكل ما أوتوا من قوة وطاقة، ومن هنا كانوا يطعمون الطعام للمساكين والأيتام والأسرى، ولا يبتغون من وراء هذا الإطعام أجراً ولا ثواباً من الناس، وإنما يرجون هذا الأجر والثواب من الله _سبحانه وتعالى_ وحده[1]. فالمعنى منتمٍ إلى حقل دلالي واحد، وهو السبيل للوصول إلى هذه الدالة الكلامية، فالوفاء بالنذر، والخوف من يوم القيامة، وإطعام الطعام، كلها وحدات كلامية تشير إلى أعمال الخير التي يعملها المؤمنون في سبيل الله تعالى، ومن أجل وجهه الكريم.

وتتجلى دالة الترادف في الأفعال المضارعة الدالة على الحركة والاستمرارية، مما يجعل أعمالهم غير منقطعة وغير مقرونة بزمن معين، إنما هي متعلقة بالعبودية والطاعة فجعلها دائمة كدوامهم واتصالهم بأفعالهم يعد ترادفاً وتجانساً في أعلى مستوياته، فدلَّ هذا التوازي التركيبي في المتوالية الثلاثية على التماثل في أعمال المؤمنين، فهم جميعاً يفعلون هذه الأعمال، ومن هنا كان التوازي التركيبي دليلاً على هذا التشابه بين المؤمنين في أعمالهم، إذ إنه لا يمكن أن يكون مؤمناً لا يوفي بنذره، أو لا يخاف يوم القيامة، ولا يعد له عدته، أو لا يتصدق على الفقراء والمساكين رغبة في رضوان الله تعالى، فكما أن هذه الأعمال يتشابه فيها جميع المؤمنين، فإن التركيب النحوي في المتوالية التي تتحدث عن هؤلاء المؤمنين جاء متماثلاً متوازياً ليكون موافقاً لما عليه حال هؤلاء المؤمنين.

([1]) انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1964م، ج: 19، ص: 127 – 129.

وعلى مستوى أعمق فقد يظهر أبعاد خفية في المتوالية، وهي الأبعاد العقدية، فالبُعد العقدي هو الأساس الذي تتحرك من خلاله آيات القرآن في معظمها بتناول الفكرة أو الموضوع من منطلق العقيدة، فاتصل هذا البُعد بعدد من الأبعاد الأخرى، منها: البُعد المعيشي الذي تراوحت مفرداته في الصدقات والإنفاق والبخل، وكذلك منها البُعد الشعوري الذي تراوحت مفرداته بين الخوف والأمن والحزن والفرح والضحك والبكاء، ومنها أيضاً البُعد الخُلُقي الذي تراوحت ألفاظه بين الصدق والكذب والافتراء والوفاء بالعهد أو الوعد والإخلاف به ونقضه، وكما أن هذا البُعد اتصل بأبعاد غير ذلك[1]، وعليه، تجد البعد الخُلُقي في قوله تعالى: (يوفون بالنذر) ثم قابله البعد الشعوري في قوله تعالى: (يخافون يوماً) ثم البعد المعيشي في قوله تعالى:(يطعمون الطعام) لتتشكل من ثلاث أبعاد عقدية مختلفة.

ومن النماذج على ذلك، ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**﴾[2].

تشتمل الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية سداسية على النحو التالي:

أنه	فكّرَ	و	قدَّرَ
فـــ	قُتلَ	كيف	قدرَ
ثم	قُتِلَ	كيف	قدّر
ثم	نظرَ	ــ	ــ
ثم	عبسَ	و	بسرَ
ثم	أدبرَ	و	استكبر

يُلحظ تغاير الأفعال الماضية بين اللازم والمتعدي، وكذلك بين المبني للمعلوم في: (قدّر، عبس، أدبر، بسر، استكبر) والمبني للمجهول في: (قُتِلَ)، ليكون هذا التوازي التركيبي قائم على البنى المتغايرة، وليس المتشابهة.

([1]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 318– 321.

([2]) سورة المدثر، آية: 18 – 22.

ومما يزيد من جمالية التوازي في هذه الأفعال هو التوافق الصوتي، والتوافق الصرفي، فـــ "قُتِلَ كيف قدّرَ" تكررت مرتين، واتفقت الفاصلة في جميع الآيات، الأمر الذي يشير إلى مزيد من التوافق بين أطراف هذه السلسلة الكلامية، ويمنحها قدراً أكبر في التوازي.

التوازي التركيبي في هذه المتوالية السداسية قائم على دالة الترادف؛ إذ ترادفت الوحدات الكلامية ضمن الآيات الكريمة لتوضيح تلك الحادثة التي وقعت مع الوليد بن عتبة في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد استمع إلى القرآن الكريم، فأعجبه نظمه وكلامه، فقال فيه: واللَّه لَقَدْ سمعتُ من محمدٍ كلاماً مَا هُو مِنْ كلامِ الإنْسِ، ولا هو مِنْ كَلامِ الجنِّ، إنَّ له الحلاوة، وإنَّ عليه لَطَلاَوَةً، وإنَّ أَعْلاَهُ لمثمرٌ، وإنَّ أسْفَلَه لَمُغْدِقٌ، وإِنَّه يَعْلُو، وَمَا يُعْلَى، فخشيت قريش أن يسلم الوليد، فناقشوه في ذلك، وبيّن لهم أن جميع الصفات التي ينعتون بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ليست فيه، فهو ليس بشاعر ولا بكاهن، ولا بمجنون، ولا بكاذب، ومن هنا فليس لهذه الصفات قيمة، والأولى بهم ألا يذكروها في الرسول _صلى الله عليه وسلم_ فقالوا له ما الحيلة: قال الحيلة أن يقال ساحر، فهو يسحر الناس بكلامه، هذا أقرب ما يقال فيه[1]، فقد بيّنت الآيات أن الوليد هذا قد فكر وتدبر في أمر القرآن، ولكنه لُعن، فـــ "قُتِل" معناها "لُعِن"، فما الفائدة من تفكيره، وما الغاية من تدبيره، وإنه عبس وأدبر عن الهدى بعد أن كاد يهتدي إلى الإسلام، وما هذا إلا لأنه أعرض عن الذكر بعد إذ جاءه، فسيدخله الله

(1) انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي: أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام – السعودية، الطبعة الثانية، 1412هـــ، 1992م، ص: 447.

سبحانه وتعالى نار جهنم جزاء ما كان منه[1]، فتناسبت المفردات مع بعضها بعضاً في المتوالية ضمن هذا الحقل الدلالي الموحد.

كما أنه قد تتضمن هذه المتوالية تقابلاً متضاداً: (أدبر) و(نظر) لما تعنيه الآية؛ لأن النظر دل على مواجهته، والإدبار على مفارقته، ولكن هذا التضاد لا يغلب على الترادف العام في هذا التوازي، كما أن التوازي التركيبي المعتمد على الفعل الماضي جاء متناسباً مع طبيعة سياق الآيات الكريمة من جهة، ومع الحادثة التي وقعت في زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم– فجاءت هذه الأفعال أفعالاً ماضية، نتيجة لانقضاء الحادثة ووقوعها.

وما قيل في النموذج السابق، يُقال في قوله _سبحانه وتعالى_ من حيث التوازي التركيبي: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾[2]، إلا أن الأفعال الماضية في هذه الآيات الكريمة جاءت جميعها مبنية للمعلوم، ولكن يُلحظ في الأفعال الماضية في كلا النموذجين أنها تشكل أبعاداً حركية أفقية[3]، ففي النموذج الأول حركة الأفقية في تحركات وتصرفات الوليد بن المغيرة بين الإقبال والإدبار، وكذلك في النموذج الثاني بين: (أدبر، فحشر، فنادى)، فهذه كلها تدل على التقابلات الحركية على المستوى الأفقي بين هذه المفردات.

([1]) انظر: الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، ج: 5، ص: 513.

([2]) سورة النازعات، آية: 20 – 25.

([3]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 305.

التوازي التركيبي في الجملة الفعلية متعدية الفعل إلى مفعولين:

الأصل في الجملة الفعلية أن تتكون من فعل وفاعل، ثم تأتي التتمة في المفاعيل، فقد تقوم الجملة على مفعول واحد، وقد تتعداه إلى مفعولين أو أكثر، كأن يكون الفعل من أفعال الصيرورة، مثل: صيّر، وأحال، وجعل، وترك، وغيرها من الأفعال.

ومن نماذج القرآن المكي على التوازي التركيبي في الجملة الفعلية المتعدية لمفعولين، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[1].

اشتملت الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثلاثية على النحو التالي:

و	جعلنا	نومكم	سباتاً
و	جعلنا	الليلَ	لباساً
و	جعلنا	النهارَ	معاشاً

كل طرف في المتوالية مساوٍ للطرف الآخر، فالمتوالية فيها تماثل بنيوي بين أطرافها التي جاءت على النحو التالي:

فعل + فاعل "ضمير المتصل" + مفعول به أول + مفعول به ثانٍ

هذا التوازي بين مواقع متوازنة؛ لتماثل عناصره في الوظائف النحوية والإعراب، ومما أضفى جمالية أكثر لهذا التوازي هو التكرار المنظم لأحد وحداته الكلامية، وهذا التكرار متمثل بتكرار التأكيد اللفظي ضمن أطراف المتوالية الثلاثية، فقد تكررت "وجعلنا" في جميع أطراف المتوالية الثلاثة، الأمر الذي يؤدي إلى تأكيد هذا المعنى في ذهن المتلقي، فهذه التركيبة المكررة هي من قبيل مجيء التوكيد بطريقة توازٍ [2]، إذ تبيّن الآيات ما أنعم به الله _سبحانه وتعالى_ على عباده من أن جعل لهم النوم موضعاً للسبات الذي يرتاحون فيه من

([1]) سورة النبأ، آية: 9 – 11.

([2]) انظر: الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 63.

الأعمال، وينامون فيه، ثم إنه جعل الليل كاللباس الذي يستر عورات الإنسان، فالليل كذلك يستر ما تحته، فهو كالغطاء، وكذلك فمن نعم الله _سبحانه وتعالى_ على العباد أن جعل لهم النهار ليعتاشوا فيه، ويكسبوا رزقهم، وما ذاك كله إلا منة وفضل من الله _سبحانه وتعالى_ على عباده[1]، فقد تكررت "وجعلنا"، ولم تكتفي بالعطف، فتكرار اللفظ يدل على التأكيد، ويوحي بالقوة الإلهية المحدثة لتعاقب الليل والنهار وتوازن الكون، وتنظيم الله سبحانه لأسباب راحة الإنسان وسعيه، فلو كانت لغير التأكيد، لم تأتِ بتكرار الفعل، كما في قوله تعالى: "الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا"[2]، لم يتكرر الفعل (جعل) هنا؛ لأنه للتعليل، لقوله تعالى: (لتسكنوا) أي: لتسكنوا في الليل ولتبصروا في النهار، فلو كانت للتأكيد لتكررت لفظة الفعل (جعل).

فاعتمد التوازي فيها على العطف والتكرار، الذي يفيد الجمع والمشاركة في ربط آلية سعي الإنسان، وانقطاعه عن الحركة بالراحة والسكون، فتكرار حرف العطف (الواو)، يفيد الربط وتقوية المعنى المتعلق بالإنسان وسعيه، فبدأ بالنوم الذي يدل على انقطاع الحركة والسكون، مما يترتب عليه راحة الإنسان، ثم الليل الذي جعله الله ستراً للإنسان؛ ليرتاح فيه، ثم النهار الذي فيه الحركة والمعيشة، وهكذا يقلب الله _سبحانه وتعالى_ الليل والنهار لينتفع من ذلك الإنسان.

ومما أضفى لهذا التوازي التركيبي قوة وجمالية أكثر، هو التغاير بين النكرة والمعرفة في كل طرف من المتوالية، وذلك بين المفعول به الأول، والمفعول به الثاني، فكانت متقابلة كالتالي:

([1]) انظر: البغوي: معالم التنزيل، ج: 5، ص: 200.

([2]) سورة غافر، آية 61.

نومكم، سباتا – الليل، لباسا – النهار، معاشا

ففي النكرة تُظهِر هذه المتوالية ملمحاً تشبيهياً في الآية الثانية، التي بيّن فيها _سبحانه وتعالى_ أنه جعل الليل كاللباس الذي يرتديه الإنسان، فهذا تشبيه بياني بيّن فيه قيمة هذا الليل في حياة الإنسان[1]، وكذلك دلّت النكرة على أن النوم نوع من السبات، والنهار من أسباب الرزق والمعيشة، فلو كان المفعول به الثاني معرفة، لاقتصر الرزق والعيش على النهار، واللباس بأنه الليل فقط، والسبات هو النوم، فجاءت نكرات ليبيّن الله أنها نوع من ذلك، ولكن هذا التغاير بين النكرة والمعرفة هو فرع من أصل يمثله البنى المتشابهة؛ لأن التوازي التركيبي يعني ما بين الجمل، وليس ما بين عناصر الجملة الواحدة.

وكذلك هناك نوع من التغاير في المفعول به في الطرف الأول من المتوالية عما يقابله من المفاعيل في الأطراف الأخرى؛ فالنوم جاء مُعرّفاً بالإضافة، و (الليل) و (النهار) جميعها مُعرّفة بـــ(ال)، فالمتأمل الباحث يرى أن (نومكم) عُرِّفت بالإضافة؛ لأن النوم خاص من طبيعة الإنسان، فأُضيف الضمير ليُنسب ذلك له، أما الليل والنهار فهي ظواهر كونية، فجاء المفعول به في الطرف الأول مغايراً في الإضافة للمفاعيل في الأطراف الأخرى.

قام هذا التوازي على دالتين؛ الأولى كانت الترادف، التي تنتج من علاقة (النوم) و(الليل)، كأنها علاقة الجزء من الكل؛ فالنوم جزء من الليل، والراحة يناسبها الليل، والسبات يناسبه المكان المستور.

أما الدالة الأخرى فهي التضاد؛ وذلك بين (الليل) و(النهار)، وبين (سباتا) و(ومعاشا)، كما أفاد عطف التوازي التركيبي بينهما على قدرة الله – سبحانه وتعالى– في ترتيب تعاقب

([1]) انظر: الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـــ، ج: 1، ص: 164.

هذه الظواهر الكونية، فذُكر الليل مقدماً على النهار، ليفيد أن الليل يسبق النهار، فعليه قول بعضنا على سبيل المثال: ليلة السبت، إن أراد مساء يوم الجمعة.

فالتوازي التركيبي في هذه المتوالية يؤثر في المعنى المرتبط به؛ وذلك أن مجيء هذه النعم التي يمنّها الله –سبحانه وتعالى– على عباده متوافقة مع بعضها بعضاً في التركيب، الأمر الذي يشير إلى قيمتها المتناسقة، فكل هذه النعم لها قيمة كبيرة في حياة الإنسان، ولا تقل إحداها عن الأخرى في قيمتها الكبيرة، وهذا المعنى أشارت إليه الآيات بعناصر هذا التوازي.

ومن بين نماذج القرآن المكي التي اشتملت على توازٍ تركيبي في الجملة الفعلية المتعدية لمفعولين، ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [1].

اشتملت الآيتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثلاثية على النحو التالي:

فـــ	وقا	هم	الله	شرَّ	_
و	لقّا	هم	_	نضرةً	وسروراً
و	جزا	هم	_	جنةً	وحريراً

جاء التوازي التركيبي متفقاً في طبيعته التركيبية في المتوالية الثلاثية، فهو بين مواقع متوازنة، فكان التركيب على النحو التالي:

حرف عطف + فعل + مفعول به مقدم + فاعل + مفعول ثانٍ + حرف عطف + اسم معطوف.

إن هذا التركيب المتماثل بين أطراف المتوالية الثلاثية يقود إلى اتصاف التوازي التركيبي السابق بأنه قائم على البنى المتشابهة في الفعل والمفعول به الثاني (شرَّ، نضرةً، جنَّةً)

(1) سورة الإنسان، آية: 11 – 12.

جاءت في المتوالية جميعها نكرات، وفي المفعول به الأول المقدم على الفاعل (هم)، إلا أنه توازٍ غير تام؛ فالفاعل لفظ الجلالة (الله) جاء في الطرف الأول ظاهراً، وفي الثاني والثالث مستتراً.

ومما يزيد في إبراز ملامح هذا التوازي التركيبي ضمن المتوالية الثلاثية؛ وجود بعض الجوانب الصرفية، التي تتمثل بتشابه صيغتي (جنَّة، ونضْرَة) من حيث الناحية الصرفية، وصيغتي (سروراً، وحريراً)، كما أن هناك بعض التناسق الصوتي في خواتيمها بصوت الراء، وصوت راء مسبوق بصوت راء وعلة في بعضها، وذلك في: (سرورا) و (حريرا)، ثم يليه ألف الإطلاق، وكل ذلك من شأنه يزيد في تشابه هذه المتوالية وتوازيها.

تضمن التوازي التركيبي في المتوالية ترادفاً بين عناصره في الطرف الثاني والثالث، بما صوّرته من أحوال المؤمنين يوم القيامة، بأن الله سبحانه سيمنحهم نضرةً وسروراً في قلوبهم، وسيجزيهم بما صبروا في حياتهم الدنيا جنة ويلبسهم حريراً [1]، مما جعلها تتآلف في تأدية هذا المعنى الموحد، لكن لابد من الإشارة إلى وجود ضدّين ضمن المتوالية الأخيرة، وهما: (شرَّ) إذ يقابلها بالدال الغائب (خيراً) التي تناسب (جنَّةً) بأنها خير، فتناسب أن تقابل الجنة بالشر، وهما معاً يشكلان دالة التضاد.

ويبين الباحث هنا أن هذا التوازي التركيبي، جاء في إطار التسوية بين قيم هذا النعيم في الجنة بالنسبة للمؤمنين، فإن قيمة النضرة والسرور، لا تقل في نفس المؤمن عن قيمة الجنة والحرير، فهذا التوازي يقود إلى تشابه هذه النعم في قيمتها عند المؤمن، فجميعها حاضرة حضوراً كبيراً في نفسه، وكلها لا غنى له عنها؛ ولذلك جاءت ضمن سياق قرآني متوازٍ تركيبياً.

([1]) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج: 5، ص: 410.

التوازي التركيبي في المنصوب على الاشتغال:

المنصوب على الاشتغال هو "ما أُضمِر عاملُه على شريطة التّفسير، وهو كل اسم بعده فعل أو شبهه مشتغل عنه بضميره أو متعلّقه، لو سلّط عليه هو أو مناسبه لنصبه، نحو: (زيدا ضربته)، و (زيدا مررت به). و (زيدا ضربت غلامه)، و (زيدا حبست عليه)، ينصب بفعل يفسّره ما بعده، أي، (ضربت) و (جاوزت)، و (أهنت) و (لابست)" [1].

ويظهر ذلك في قوله وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[2].

اشتملت الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو الآتي:

و	الأرضَ	بعد ذلك	دحاها
و	الجبالَ	--	أرساها

يقوم التوازي التركيبي في هذه المتوالية في المنصوب على الاشتغال، إلا أن التوازي التركيبي في الطرف الثاني من المتوالية غير تام مع الطرف الأول كما هو موضح في الجدول أعلاه.

وفقاً لما بيّنه النحاة، فإن الاشتغال يكون بمجيء فعل اشتغل عن مفعوله المتقدم عليه بضميره، أو بضمير متصل بمتعلق المفعول، هذا في حال كان الاسم المتقدم منصوباً، مثل: زيداً ضربته، أو زيداً مررت به[3]، وبناء على ما تقدّم عند النحاة عن ماهية الاشتغال، فإن الآيات الكريمة مشتملة على مثال لهذا الاشتغال.

([1]) ابن الحاجب: الكافية في علم النحو، ص: 21 – 22.

([2]) سورة النازعات، آية: 30 – 32.

([3]) انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري (ت761هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ أحمد البقاعي، دار الفكر، بيروت–لبنان، د.ط، ود.ت.

فهذه المتوالية الثنائية تتكون من طرفين، كل طرف يتمثل فيما يأتي:

اسم منصوب + فعل ماضٍ + ضمير متصل عائد على الاسم المنصوب

التوازي التركيبي في المتوالية قائم على دالة الترادف، فإن مجموعة الوحدات الكلامية التي تشكلت منها، تقود إلى القول بأنه ثمة توافق في حقلها الدلالي، فقد جاءت الآيات الكريمة لتُبيّن ما كان من أمر الله سبحانه، حين مدّ الأرض ودحاها، وأخرج منها الماء، وجعل فيها النبات والمرعى، ثم جعل الجبال الراسيات سبيلاً لإقامة هذه الأرض، ومنعها من الميل أو الاهتزاز، وما ذاك إلا تفضل منه _سبحانه وتعالى_ على عباده[1]، فهنا تجد أن ــ(الأرض، الجبال، ماءها، مرعاها، دحاها، أرساها) كلها وحدات كلامية تنتمي إلى حقل دلالي واحد، لذلك فهو قائم على دالة الترادف، ومن الممكن أن تكون علاقة هذا الترادف هي علاقة الجزء بالكل؛ إذ بدأت المتوالية بالحديث عن الأرض وكيفية إنشائها بما هيأه الخالق فيها، ثم بأن بيّنت سبيل الحياة في الأرض، بما أودعه فيها الخالق من نباتٍ ومراعٍ تتيح للمخلوقات العيش في طياتها، ثم انتقلت إلى الحديث عن الجبال وكيفية إرسائها وصمودها.

الاشتغال له فائدة دلالية تتمثل في أنه _سبحانه وتعالى_ حين قدّم "الأرض" ثم شغل الفعل عنها، فقدّم "الجبال" وشغل الفعل عنها؛ لارتباط الجبال بالأرض في التكوين الإلهي لها، فالأرض دحاها، فناسبت أن يقال: (والجبال أرساها)، فاشتغال الفعل في الطرفين عائد إلى تناسق المعنى بين الأرض والجبال، لكون الجبال وُجدت كي تحمي الأرض من الميل والتحرك، فهي رواسٍ تثبتها، فلما تقدمت الأرض تقدمت الجبال، ولما اشتغل الفعل عنها بالضمير، اشتغل الفعل عن الجبال كذلك، كما أن تقديم المفعول حافظ على اتفاق الفاصلة القرآنية في أطراف المتوالية، الأمر الذي أضفى جمالية أكثر لهذا التوازي التركيبي.

([1]) انظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج: 10، ص: 399.

التوازي التركيبي في الأسماء التي تعمل عمل فعلها:

قد يأتي التوازي التركيبي في الأسماء التي تعمل عمل أفعالها، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[1].

اشتملت الآيات على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية بين مواقع متقابلة مع المصدر العامِل عمل فعله، فنصب المفعول به على النحو التالي:

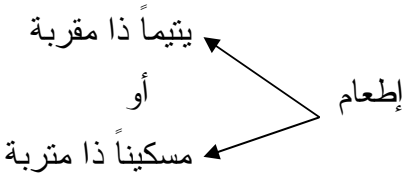

فيتّضح توازي المفاعيل المنصوبة، فالمفعول به هو العنصر التركيبي التكميلي الذي يأتي بعد الفاعل، ويكون قد وقع عليه فعل الفاعل، وغالباً ما يقع هذا الفعل عليه من غير واسطة حرف الجر، وربما كان بواسطتها، فالشرط الأظهر للمفعول به في الجملة الفعلية العربية أن يكون قد وقع عليه فعل الفاعل[2]، فجاءت عناصر التوازي التركيبي في كل طرف من أطراف المتوالية الثنائية المرتبطة بالمصدر على النحو التالي:

مفعولاً به + صفة منصوبة + مضاف إليه

هذا التشابه في تركيب أطراف المتوالية، يقود إلى القول أن هذا التوازي التركيبي قائم على أساس البنى المتشابهة؛ لتوافق بنيات التركيب في طرفي المتوالية الثنائية، كما أن فيها توازٍ صوتي، وذلك في اتفاق الفاصلة القرآنية (مسغبة، مقربة، متربة)، الأمر الذي أضفى جمالية لهذا التوازي ومنحه أكثر قوة وتناسب.

([1]) سورة البلد، آية: 14 – 16.

([2]) انظر: الجرجاني: التعريفات، ص: 224.

واعتمد هذا التوازي التركيبي على دالة الترادف، فالوحدات الكلامية التي اشتمل عليها تنتمي إلى حقل دلالي واحد لتبيّن فضل الصدقة، وأجرها في النجاة من النار، وذلك في إطعام الطعام على الجوع لقوله تعالى: (ذِي مَسغَبَةٍ) أي: ذي جوع، وذلك ليتيم من ذوي القربى، وقيل: باليتيم، أي: الضعيف، كقولهم: يَتُمَ الرجلَ يُتماً: إذا ضعف، وكذلك إطعام الطعام لمسكينٍ ذا متربة، أي: لا شيء له، حتى لَصِقَ بالتّراب من الفقر، ليس له مأوى إلا التراب، وقيل المطروح على الطريق، الذي لا بيت له، وقيل: البعيد التُّربة، يعني البعيد عن وطنه[1]، فترادفت العناصر في المتوالية، فتجد تناسب ألفاظها في: إطعام، مسغبة، يتيماً، مقربة، مسكيناً، متربة، كلها وحدات كلامية دالة على أفعال الخير في سبيل الله تعالى.

وفي موضعٍ آخر للتوازي التركيبي في تلك الأسماء العاملة عمل فعلها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[2].

هنا تجد أن أسماء التفضيل (أكثر، أعز) عملت عمل فعلها فنصبت التمييز (مالاً، نفراً) فوقع التوازي بين مواقع متوازنة كالتالي:

أنا	أكثرُ	منك	مالاً
--	أعزُ	--	نفراً

يتضح من خلال الجدول، أنه توازٍ تركيبي غير تام؛ فالطرف الثاني مقدرّة بعض عناصره وليست ظاهرة، كما أنه اعتمد على الترادف بين عناصره.

التوازي التركيبي بين الجملة الاسمية والفعلية:

وبعد أن أورد الباحث شواهد على التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم، وذلك في الجملة الاسمية ولواحقها في الفصل الأول، وكذا في الجملة الفعلية ولواحقها

([1]) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 20، ص: 69 – 70.

([2]) سورة الكهف، آية: 34

في هذا الفصل، وما أتمَّهُ الباحث فيها من بيان عناصر التوازي التركيبي بين المتواليات، فقد وجد لزاماً أن يقف على التوازي التركيبي بين الجملتين: الاسمية والفعلية معاً.

ومن نماذج القرآن المكي في توازي الجملة الفعلية بالاسمية، ماجاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[1].

تشتمل الآية الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثلاثية يمكن توضيحها على النحو التالي:

فالق	الحب والنوى	--	
يخرج	الحي	من	الميت
مخرج	الميت	من	الحي

هذا النموذج قريب جداً للنموذج السابق في سورة الروم، إلا أنه مع الطرف الأول غير تام؛ لاقتصار الفعل على مفعول واحد، وكذلك النموذج فيه تغاير بين الجملة الفعلية والاسمية، فعُطِف طرف المتوالية الثالث على طرفها الثاني، وهذا من قبيل عطف الاسم على الفعل، وهو جائز إذا سهل تأولهما بفعلين أو اسمين، على ما كان في المتوالية[2].

وعطف "مخرج" على "يخرج" ناجم من طبيعة اسم الفاعل المشابهة للفعل، فإنه إذا شابه الاسم الفعل جاز عطفه عليه [3].

أما التوازي التركيبي في هذه المتوالية فهو قائم على دالة التضاد بدلالة الانبثاق التي سبق الحديث عنها، فهي من الدلالات المتصلة بدلالة التداخل، فتظهر دلالة الانبثاق من قوله

([1]) سورة الأنعام، آية: 95.

([2]) انظر: ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد، ج: 3، ص: 383.

([3]) انظر: ابن الناظم، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك: شرح على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000م.

تعالى(فالق)[1]، وأيضاً أن الحي يخرج من الميت، والميت يخرج من الحي، فكان هناك تضاد متناسق وقوي بين الطرف الثاني والثالث من المتوالية، فنجد التماثل بين عناصر الطرف الثاني والطرف الثالث؛ ولكن باختلاف المواقع حدث التضاد اللفظي، كما ذُكر عن النموذج السابق.

فتجد لفظة (الميت) يقابلها (الحي)، وتجد لفظة (الحي) يقابلها (الميت)، وعليها ماعلى النموذج السابق في اختلاف مواقع المفردات، فما كان في يمين الطرف الثاني تجده في شمال الطرف الثالث والعكس، وذلك على النحو التالي:

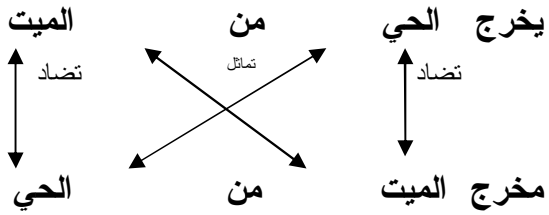

ومن نماذج القرآن المكي على مجيء التوازي التركيبي بين الجملة الفعلية والاسمية ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2].

هذه الآية سبق الحديث عنها في توازي الجملة الفعلية لازمة الفعل وعن ظاهرة التوازي فيها؛ ولكن عند قراءة ما بعد الجملة لازمة الفعل (زهق الباطل) تجد أن هناك جملة اسمية تقابلها وهي: (إن الباطلَ كان زهوقا) لتكون كالتالي:

زهق الباطل
إن الباطل
كان زهوقا

([1]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 341 – 342.

([2]) سورة الإسراء، آية: 81.

فيظهر في هذه المتوالية تغاير بين الجملة الفعلية والاسمية؛ وكذلك في النواسخ بين (إنَّ) و(كانَ)، فالجملة الاسمية جاءت فيصلاً؛ لتأكد ما كان في الفعلية على صيغة المبالغة (زهوقا).

وقد يأتي التوازي التركيبي على متوالية ثنائية يشتمل كل طرف فيها على جملة فعلية وجملة اسمية، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِين (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِين﴾[1].

اشتملت هذه الآية على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

فـــــ	ألقى	عصا	ه	فإذا	هي	ثعبان
و	نزع	يد	ه	فإذا	هي	بيضاء

هنا تجد الجملة الفعلية على يمين أطراف المتوالية والجملة الاسمية في شمالها يفصلها(إذا) الفجائية، لتتكون عناصر كل طرف كالتالي:

حرف عطف+ فعل+ فاعل مستتر+ مفعول به+ مضاف إليه+ حرف عطف+ إذا الفجائية+ مبتدأ+ خبر.

هذا التوازي بين المواقع المتوازنة يعتبر تام، فاشتراك الجملة الاسمية لم يُحدِث تغايراً؛ لأن التوازي التركيبي يقع بتوازي العناصر عمودياً كما في الجدول أعلاه، وليس أفقياً، فالفعل قابله الفعل، والاسم قابله الاسم، وهكذا، كما إن الترادف واضح في عناصره، كما أن هناك تقابل لفرع من أصل هذا الترادف، وذلك بين الاسم الجامد لذكر الحيّات (ثعبان) وبين الصفة المشبهة لمؤنث أبيض (بيضاء).

(1) سورة الأعراف، آية: 107 – 108.

ومن الممكن في نهاية هذا الفصل أن نشير إلى بعض النتائج الآتية:

1- يظهر التوازي التركيبي ضمن عناصر الجملة الفعلية جلياً خاصة في نواحي المفاعيل؛ والسبب في ذلك عائد إلى طبيعة التشكيل التركيبي للجملة الفعلية التي تقوم في كثير من عناصرها على المفاعيل.

2- يمكن القول بأن النماذج غلب عليها تغاير البنى، وخاصة في توازي الأفعال بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول ضمن التوازي التركيبي، وكذلك غلب عليها التغاير بين الفعل اللازم والمتعدي، وبين الماضي والمضارع.

3- ارتبطت أغلب الجمل الفعلية المتوازية بحروف العطف، مما زاد في قوة هذه التوازي، فكانت الحروف مؤشرات لتقارب أطراف المتواليات من ناحية الأبعاد الزمنية أو المكانية أو الحركية أو الإعجازية، كذلك أظهرت تقابلات بين حروف الجر بسبب الأفعال اللازمة ومتعلقات الفعل.

الفصل الثالث

التّوازي التّركيبيّ ضمن الأساليب النحويّة

الفصل الثالث

التوازي التركيبي ضمن الأساليب النحوية

هذا الفصل يختص بالتوازي التركيبي في الأساليب النحوية، بحيث اجتهد الباحث في أن تكون النماذج في الفصول السابقة خالية من هذه الأساليب، فكان التوازي في الجملة الاسمية لا يتخلله استفهام أو نهي أو قسم أو شرط، ولا غير ذلك من الأساليب، وكذلك في توازي الجملة الفعلية، فدراسة هذا الجانب في فصلٍ مستقل أنسب؛ لتكون الفائدة منه أوضح وأفضل وبنطاق أوسع مما لو كان ضمن الفصول السابقة.

يعد الأسلوب من أهم الحيثيات العلمية التي تناولها الباحثون في العصر الحاضر من حيث المعنى والسياق، علاوة على دور هذا الأسلوب في خلق نمطية تركيبية من خلال الوحدات الكلامية؛ إذ يمثل جزءاً مهماً من الدرس الأسلوبي في المنجزات الأدبية الحديثة، خاصة عند النظر إلى هذا المصطلح من خلال علاقته بعناصر التداول اللغوي، التي تتمثل بالمرسل والمتلقي، والرسالة التي يريد المرسل إيصالها إلى هذا المتلقي، فهذه العناصر التواصلية للغة تخلق نوعاً من التماثل في تكوينات الرسالة اللغوية، مما قد يربطها بالأسلوب من ناحية أو أخرى، فمن هنا اختلفت النظرة التفصيلية للأسلوب باعتباره عنصراً مهماً في تشكيل مكونات التركيب اللغوي[1].

والحديث في هذا الفصل لن يكون مرتبطاً بعناصر الأسلوب من حيث ارتباطها بمفهوم الأسلوبية من وجهة نظر أدبية، ولكن سيكون الحديث هاهنا عن الأسلوب من جهة ارتباطه

([1]) انظر: عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ــ الأردن، 1996م، ص: 40 ــ 46.

بمكونات النظام التركيبي في اللغة، أي في توازي هذه الأساليب ضمن الجمل، كأسلوب الاستفهام، وأسلوب الشرط ، وغيرها من الأساليب النحوية، وسيتم البحث في كل أسلوب على حدة، وقد تتداخل الأساليب في التوازي التركيبي، فأبرز عناصر التوازي التركيبي ضمن هذا النظام الأسلوبي قد يكون على النحو التالي:

التوازي التركيبي في الاستفهام:

ومن أسلوب القرآن الكريم أن يتتابع فيه الاستفهام، على نحو ما نرى في الآيات القرآنية الكريمة السابقة، فقد يتتابع الاستفهام فيها بالهمزة، وبـــ "ما"[1].

يشير مفهوم الاستفهام في معناه العام في اللغة إلى عنصر استعلامي استخباري من المتكلم إلى المخاطب، وهذا الاستعلام يكون لأجل غاية إخبارية يريدها المتكلم، وهذا ما يمكن لنا أن نستنتجه من كلام الجرجاني في حديثه عن مفهوم الاستفهام، وذلك إذ يقول: ""استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"[2].

ويرتبط مفهوم الاستفهام بمكونات دلالية واصطلاحية أخرى، مثل مفهوم الاستخبار، الذي يدل في معناه الأساسي إلى طلب الخبر، وليس من الضرورة بمكان أن يقصد المتكلم من الاستخبار طلب الفهم، أي أن كل استفهام استخبار، ولكن ليس العكس، فليس كل استخبار استفهام[3].

([1]) عضيمة، محمد عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة – مصر، د.ط، ود.ت، ج: 3، ص: 9.

([2]) الجرجاني. التعريفات، ص: 18.

([3]) انظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، ص: 83.

أما في عرف النحاة واللغويين فإنهم يرون أن الاستفهام بعناصره التي يتركب منها يعد جملة، ومن هنا كان التعبير عن هذا الأسلوب النحوي بجملة الاستفهام، فيسمون هذا التركيب بهذا الاسم "جملة الاستفهام[1]"، وذلك في إشارة منهم إلى التركيب الأسلوبي الاستفهامي المتميز في العربية بكافة مكوناته التركيبية.

وبناء على ما تقدم، فإنه يمكننا القول بأن جملة الاستفهام التي ترتبط بعناصر التركيب الأسلوبي من جهة، وعناصر التركيب النحوي من جهة ثانية، لا بُدَّ أن تشتمل على مكونات التوازي التركيبي، وذلك انطلاقاً من ارتباط هذه المكونات التركيبية ببعضها بعضاً ضمن مكونات الأسلوب الاستفهامي، ونحن فيما يلي من صفحات سنحاول بيان أهم ملامح التوازي التركيبي في القرآن المكي ضمن أسلوب الاستفهام.

فأول النماذج لهذه المواضع ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾[2].

يمكن ملاحظة ملامح التوازي التركيبي في الآيتين الكريمتين على النحو التالي:

ألم ترَ
كيف فعل
ألم يجعل

يظهر في هذه المتوالية الاستفهامية أنها قد بدأت بهمزة الاستفهام التي هي أبرز أدواته، إذ هي حرف مع أختها "هل"، غير أنها متصرفة في بابها أكثر من "هل"، أما سائر أدوات

([1]) انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1998م، ج: 3، ص: 1053.

([2]) سورة الفيل، آية: 1 – 2.

الاستفهام الأخرى فهي أسماء – ظروف وغير ظروف – وهي هاهنا حينما اتصلت بـــ "لم" أفادت معنى التقرير[1].

اشتملت المتوالية الثلاثية على أكثر من استفهام، فكانت متغايرة بين الهمزة الداخلة على (لم) الجزم والنفي، وبين (كيف) التي جاءت هنا لتفيد الاستفهام التعجب، ولكن يرى بعض النحويين أن (كيف) هاهنا ليست الخالصة للاستفهام، وإنما خرجت عن معنى الاستفهام لتدل على معنى الاسمية الخالصة، فيكون إعرابها هاهنا مفعولاً به، وهذا الإعراب أعربه بعض النحاة، ومنهم من أعربها مفعولاً مطلقاً، والمهم في هذا كله أنها لم تأتِ هاهنا لتدل على معنى الاستفهام الحقيقي، بل هي داخلة ضمن جملة الاستفهام الأولى[2].

فعليه، خرجت (كيف) عن الاستفهام في المتوالية بين أدوات الاستفهام لتصبح مفعولاً به، لتكون العناصر المتوازية في الآيتين على النحو التالي:

ألم // ألم ترَ // يجعل

هذا التكرار من شأنه أنه يقوّي التوازي التركيبي ويزيد في أثره بين أجزاء المتوالية؛ لأن الاستفهام يتطلب إجابة من المخاطب، لكن الإجابة حاضرة عند المتكلم، مما يقتضي إقرار المخاطب بالمعلومة التي قُدِّمت له إليه على سبيل الاستفهام، فالآية خطاب من الله _سبحانه وتعالى_ للرسول – صلى الله عليه وسلم – لتذكيره بالحادثة الشهيرة التي وقعت زمن الجاهلية، حينما أراد أبرهة الأشرم أن يهدم الكعبة المشرفة، فأرسل الله _سبحانه وتعالى_ الطير الأبابيل على جيش أبرهة المعتمد على الفيلة، فكانت نهايتهم جميعاً، وماتوا هم وفيلتهم، هذه الحادثة تعد موطئاً للتاريخ العربي منذ ذلك الحين، فجاءت هذه الآية الكريمة لتذكر

([1]) انظر: الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 437.

([2]) انظر: حسن: النحو الوافي، ج: 1، ص: 510.

الرسول – صلى الله عليه وسلم– بهذه الحادثة المفصلية في زمان الجاهلية[1]، فالتوازي بالاستفهام التقريري يتناسب مع الموقف القرآني.

فهذا التوازي بين مواقع متوازنة، ومن جانب آخر فهو توازٍ تركيبي تام، فيُلحظ ذلك في الاستفهام والفعل المضارع المجزوم بـــ "لم" ضمن طرفي السلسلة الكلامية: "الم ترَ"، و"ألم يجعل"، وقد يشتمل التوازي على شيء من التغاير عند البحث في باقي عناصر الآيتين، فالآية الأولى اشتملت على الاستفهام "كيف" الذي خرج بمعنى المفعول به، وما بعده هو الفعل "فعلَ"، وهو فعل ماضٍ، مخالف في زمانه للفعل المضارع المذكور، فهذا يدعم المغايرة في تقدير الضمائر، فقد اعتمدت الآية الأولى على ضمير الخطاب في "ترَ أنت، ربك"، في حين أن الآية الثانية اعتمدت على ضمير الغيبة: "يجعل هو، كيدهم"، وهذا ما يجعلها تنتمي إلى البنى المتغايرة.

المتوالية كان الخطاب فيها متضاداً بين ضمير الخطاب في الآية الأولى، وضمير الغيبة في الآية الثانية، إلا أنها تنتمي إلى حقل دلالي واحد، فغلب عليها الترادف في دلالتها، فالوحدات الكلامية: (أصحاب الفيل)، و(كيدهم)، و(تضليل)، تنتمي إلى حقل دلالي واحد، فالكيد، والضلال لا شك يقودان إلى بعضهما، ومن هنا فإنهما يرتبطان بعلاقة السببية معاً، وذلك في علاقة "أصحاب الفيل" التي كأنها أصبحت بدائرة التضليل.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

([1]) انظر: الواحدي: أسباب نزول القرآن، ص: 491.

([2]) سورة الملك، آية: 22.

أظهرت الآية توازيًا تركيبيًا لمتوالية ثنائية بين جمل بدأت بالاستفهام على النحو التالي:

أفمن	يمشي	مكباً	على	وجهه
أمّن	يمشي	سوياً	على	صراط

في هذا التوازي المتماثل بين هذه العناصر يتضح أنه توازٍ بين مواقع متوازنة، فكل عنصر موازٍ لعنصر ليمثل توازياً تركيبياً تاماً، فهو قائم على بنى متشابهة، إلا أن هناك تغايراً في الاستفهام بين (الهمزة) و(أم).

بدأت أطراف المتوالية بالاستفهام، فبدأ الطرف الأول بـــالهمزة التي هي هنا للاستفهام التوبيخي، وبدأ الطرف الثاني بـــ(أم) العاطفة والمعادلة لهمزة الاستفهام، ثم بـــ(من) التي هي اسم موصول في محل مبتدأ، ثم تماثلت بالصلة "الفعل المضارع" (يمشي)، ثم بالحال (مكباً، سويا) ثم بالجار والمجرور المتعلق بالحال، فكانت في المتوالية استعارة تمثيلية للمؤمن والكافر، فالكافر أعمى لا يهتدي إلى الطريق بل يمشي متعسفا فلا يزال يتعثر وينكب على وجهه، والمؤمن صحيح البصر يمشي في طريق واضحة مستقيمة سالما من العثور[1]، فبذلك اعتمد هذا توازي الاستفهامي على التضاد، الذي أظهر عدة تقابلات متضادة، كما في الحال بين (مكباً) و(سوياً)، وبين المتعلقات (على وجهه) و(على صراط).

وفي موضع آخر قد تأتي الجمل الاستفهامية متوازية بمواقع متقابلة لاستفهام واحد، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2].

([1]) انظر: مصطفى درويش، محيي الدين بن أحمد (ت1406هـ): إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص–سورية، الطبعة الرابعة، 1415هـ، ج: 10 ، ص: 158.

([2]) سورة الغاشية، آية: 17 – 20.

تشتمل الآيات القرآنية السابقة على توازٍ تركيبي ذي متوالية رباعية على النحو التالي:

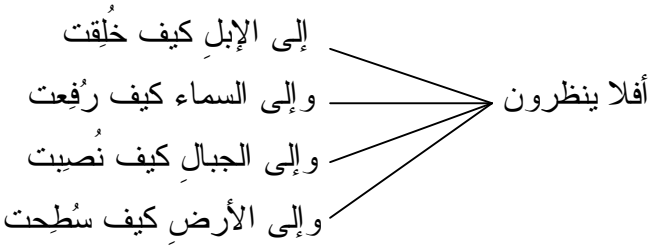

ويمكن الانطلاق في الحديث عن هذه المتوالية الكلامية الرباعية من خلال عناصر الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه مكونات هذه المتوالية، إذ تسعى فكرة الحقول الدلالية إلى الربط بين عناصر الكلام المختلفة بوحداته المتعددة ضمن مجموعة من العلاقات الناظمة بينها، وذلك من أجل الوصول إلى الربط الوثيق بين هذه المكونات الكلامية عبر حقلها الدلالي[1]، فهذه العناصر متقابلة مع عنصر مركب واحد(أفلا ينظرون)، وكذلك فهي بين مواقع متوازنة فيما بينها من دون الاستفهام المرتبط بها، فتجد ذلك من بعناصر التكرار التي تظهر في كل طرف من أطرافها الأربعة، إذ يتكرر حرف الجر "إلى" كما تتكرر الوحدة الكلامية "كيف"، ومن ناحية ثانية فإن كل طرف من أطراف هذه المتوالية الرباعية ينتهي بفعل ماضٍ مبني للمجهول، لذا فهو أيضاً يخلق نمطاً من التماثل في هذه المتوالية الرباعية، وهذه الوحدات الكلامية تتمثل بـــ: "خُلِقت، ورُفعت، ونُصِبت، وسُطِحت"، فهي جميعها أفعال ماضية مبنية للمجهول، وقد منحت هذا التوازي نمطاً من التوافق والقوة.

الاستفهام في المتوالية إنكاري، وجيء به إنكاراً ليبين حالة الإهمال في النظر في دقائق صنع الله، إذ تبين الآيات القرآنية الكريمة عظمة خلق الله في بعض جوانب مخلوقاته، وذلك في خلق الإبل والسماء والجبال والأرض، فهذه كلها مخلوقات تستحق من الإنسان النظر

(1) انظر: فندريس، جوزيف: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1950م، ص: 333.

والاعتبار، وذلك انطلاقاً من فكرة التأمل بما خلقه الله سبحانه وتعالى، وصولاً إلى وحدانيته سبحانه من خلال هذه المخلوقات[1]، فأصبحت الرؤيا أوضح دلالة وأعمق أثراً بأسلوب الاستفهام الذي تقابلت معه جميع أطراف المتوالية، وأعتمد التوازي فيها على الفعل المضارع بعد الاستفهام و(لا) النافية، وتعدية هذا الفعل المضارع بحرف الجر (إلى) ؛ ليستشعر الناظر أهمية المنظور وبديع المخلوق، وكذلك تكرار (كيف) مصحوباً بتكرار العطف بالواو زاد في ارتباط أطراف المتوالية وتقويتها.

فمن جماليات التوازي التركيبي في المتوالية أن كل عنصر منه يقود إلى آخر متعلق به، فالجار مقرون بالنظر، والمجرور بالفعل، والفعل المبني للمجهول متعلق بالمجرور قبله، فتتابعت أطراف المتوالية بهذا التركيب والطريقة الجمالية، محدثة تناغماً في هذا الأسلوب الاستفهامي.

والتوازي التركيبي في المتوالية المتقابلة أطرافها في الاستفهام قامت على بنى متشابهة، وهو ما ذُكر سابقاً، فكل وحدة كلامية تقابلها ما يوافقها في الطرف التالي من المتوالية الكلامية الرباعية، وهذا يخلق نمطاً من التوافق التركيبي بين هذه العناصر اللغوية، والوحدات الكلامية، إلا أن هناك تغايراً بين المفرد والجمع في المجرورات، فـــ(الجبال) جمع، والسماء مفرد.

يُلحظ في المتوالية عدة تقابلات متضادة، وأخرى مترادفات، فمثلاً التضاد بين السماء والأرض، هذا تضاد واضح على بعد مكاني عمودي بينهما.

ولكن قد يقع ترادفٌ بين السماء والجبال لعلاقتهما بالعلو والارتفاع، بحيث ارتبطا بالفعلين: نُصبِت، ورُفِعت، فإن هذين الفعلين يدلان على الارتفاع، والقصد من هذا الارتفاع

([1]) انظر: القشيري: لطائف الإشارات، ج: 3، ص: 722.

علو منظور الإنسان، وارتفاع تفكيره ليتوصل بهذا التفكير العالي إلى الاستدلال على وجود الله سبحانه، وأنه هو الخالق الأوحد لهذا الكون الفسيح[1]، كما أظهرت المتوالية ترادفاً بعلاقة الجزء بالكل، وذلك بعلاقة الجبال والأبل بالأرض وهكذا.

وعليه، يظهر أن هذه المتوالية الكلامية الرباعية اشتملت على توازٍ تركيبي متقن ضمن الآيات القرآنية الكريمة، وكان لها دورها في تعميق الدلالة لدى المتلقي، وتشير له بالارتفاع في تفكيره وعقله.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾[2].

تشتمل هذه الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثلاثية على النحو التالي:

أفنجعل المسلمين كالمجرمين

مالكم كيف تحكمون

أم لكم كتاب فيه تدرسون

في هذه الآيات القرآنية الكريمة يظهر الخطاب الرباني المباشر لجميع البشر، في أسلوب الاستفهام، إلى مؤمنهم وكافرهم، بأنه _سبحانه وتعالى_ لا يجعل المسلم كالمجرم في الأجر والمرتبة، فهذا حكم جائر، لذا جاءت الآية منكرة هذا الحكم، ونافية له، ومبيّنة للناس أجمعين أن الحكم الإلهي القائم على العدل سيأتي بالعدل للناس جميعاً[3]، ففي المقارنة بين

([1]) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، د.ت، ج: 2، ص: 363.

([2]) سورة القلم، آية: 35 – 37.

([3]) انظر: الثعلبي: الكشف والبيان، ج: 10، ص: 18.

المسلمين والمجرمين في هذا التوازي بالاستفهام بيان أن هذا الحكم القائم من الذين كفروا على الجور والظلم لا قيمة له عند الله سبحانه وتعالى.

تقوم هذه المتوالية الكلامية الرباعية على أساس من البنى المتغايرة، وأهم ملمح من ملامح هذا التغاير القائم بين وحداتها الكلامية يظهر في تغاير الاستفهام بين الهمزة (أ) و(ما) و(أم)، ثم التغاير فيما بين ما دخل الاستفهام عليه، فالهمزة على الفعل (نجعل) و(ما، أم) على (لكم)، إلا أن هذا التوازي التركيبي قائم على أساس من التقارب ضمن وحداته الكلامية، فإن كلمة "المسلمين والمجرمين" في شكلها تقترب من الفعل المضارع الذي نجده في قوله: تحكمون، وتدرسون، فإن هذه الوحدات الكلامية متقاربة في شكلها النحوي، إذ هي معربة بعلامات إعرابية ثانوية وليست بالعلامات الأصلية للإعراب، كما أنها تتشابه في الحركات والسكنات وهو ما يدعم الجانب التركيبي ضمن هذا التوازي.

أما من حيث التضاد والترادف، فقد أظهرت هذه المتوالية تقابلات متضادة بين عدة عناصر منها: (المسلمين) و(المجرمين)، ومنها: بين "نـــ" المتكلمين في: نجعل و الخطاب في: مالكم، تحكمون.

فهذه الوحدات المتقابلة في المتوالية الكلامية الثلاثية تُظهِر عناصر التضاد بينها، الأمر الذي يوحي ببناء هذه المتوالية الكلامية بدالة التضاد، وهو أمر متوقع من المتلقي، فإن المتوالية منذ بداياتها قامت على التضاد بين المسلمين والمجرمين، ثم إنها استمرت على هذا النمط من الضدية حتى نهايتها.

وبناء على ما سبق كله يظهر لنا كيف أن التوازي التركيبي ضمن أسلوب الاستفهام كان له الأثر البالغ في تحقيق عناصر المعنى، وتأكيد مظاهر التركيب، فإن نظام الجملة

الاستفهامية بتراكيبها وبنياتها تدل على معانٍ متوافقة مع طبيعة التوازي التركيبي الذي تتابعت به الآيات الكريمة.

وفي موضع آخر قد تأتي (أم) عاطفة لا تفيد الاستفهام، وتوازي استفهاماً قبلها بثلاثة أطراف بين مواقع متوازنة، ومن النماذج على ذلك ماجاء في قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴾[1].

هذه الآية الكريمة اشتملت على توازٍ تركيبي بين أربعة أطراف استفهامية، وبين مواقع متوازنة على النحو التالي:

أ	لهم	أرجل	يمشـــــ	ـــــون	بها
أم	لهم	أيدٍ	يبطشـــــ	ـــــون	بها
أم	لهم	أعين	يبصر	ـــــون	بها
أم	لهم	آذان	يسمعـــــ	ـــــون	بها

يتضح من خلال التركيب أنه توازٍ تركيبي تام، وغلب عليه البنى المتشابهة، فبدأ بالطرف الأول في الاستفهام الإنكاري بالهمزة ثم توالت بـــــ(أم) العاطفة بمعنى بل وتفيد الإضراب الانتقالي، فهذا التوازي التركيبي في المتوالية الرباعية فيه توازٍ صوتي ملحوظ في اتفاق الحروف في آخر عناصرها (ـــــهم، ـــــون، ـــــها)، وكذلك جاءت الأفعال جميعها أفعال مضارعة، وهذا مما يزيد في جمالية التوازي في هذه المتوالية.

ففي توازي هذه الأطراف فنّ بديعي، يكمنُ في نفي الشيء بإيجابه، وهو أن يثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه بشرط أن يكون المثبت مستعاراً، ثم ينفي ما هو من سببه مجازا،

([1]) سورة الأعراف، آية: 195

والمنفي حقيقة في باطن الكلام، وهو الذي أثبته لا الذي نفاه، وفي الآية نفي الإلهية عمن يبصر ويسمع من الآلهة المتخذة من دون الله تعالى، فكيف من لا يسمع ولا يبصر منها[1].

وفي موضع آخر قد يأتي التوازي في الاستفهام متغايراً بين دخوله على النفي والنواسخ، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[2].

اشتملت الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثلاثية على النحو التالي:

أ	يحسب	...	الإنسان أن يترك..
أ	لم	يك	نطفة من مني يمنى
أ	ليس	...	ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

وتقوم الآيات القرآنية السابقة على نظام من التماثل والتجانس والتقابل والمطابقة، وهي أمور يمتاز بها القرآن الكريم، وتدعم إعجازه وإتقانه، كما أنها تزيده جمالاً ودقة ونظاماً[3]، فمن التماثل قوله: مني يُمنى، ومن المطابقة "التضاد" في قوله: "يحيي الموتى" و"الذكر والأنثى، فرغم هذه الجماليات إلا أنه لابد من تسليط الضوء على موطن الشاهد الذي هو التوازي بين هذه الاستفهامات، فعند النظر في الآيات السابقة تجد أن هذا التوازي قائم على أساس من التشابه، وذلك في نوع الاستفهام، وفي الفعل المبني للمجهول نحو: "يُترَك" و"يُمنى"،

([1]) انظر: مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، ج: 3 ، ص: 513

([2]) سورة القيامة، آية: 36 – 40.

([3]) الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: إعراب القرآن، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة – مصر، ودار الكتب اللبنانية، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، 1420هـ، ج: 1، ص: 376.

وكذلك فالطرف الأول أُتبع بـــــ "يحسب" وهو فعل مضارع، وهذا الفعل يتماثل مع الفعل المضارع الناسخ في الطرف الثاني من المتوالية "يك"، إلا أنها قامت المتوالية الثلاثية على البنى المتغايرة، لتغاير ما بعد الاستفهام من حروف ونواسخ، وكذلك تغاير في الطرف الثالث عندما تلا أداة الاستفهام الاسم "ذلك".

وحين نتأمل النظر في مكونات هذه المتوالية الثلاثية، تجدها قائمة على الترادف؛ وذلك بانتماء الوحدات الكلامية إلى حقل دلالي واحد، الذي يتمثل بحقل خلق الإنسان، وهذه الوحدات هي: الإنسان، نطفة، مني، علقة، خلق، سوى، الزوجين، الذكر، الأنثى، فهذه المكونات الكلامية جميعها تنتمي إلى خلق الإنسان، وأيضاً يظهر الترادف في النفي في: ألم، و "أليس" ضمن الطرف الثاني والثالث من المتوالية، كما يظهر في ترادف الأفعال المضارعة نحو: (يحسب، يك، يحيي) مما يجعل دالة الترادف هي الأبرز ضمن هذه المتوالية الكلامية الثلاثية.

أما التضاد فقد يظهر فيها كما ذكر سابقاً، وذلك في:

(الذكر // الأنثى) (يحيي // الموتى)

التوازي التركيبي في الشرط وجوابه:

والشرط أسلوب نحوي يقوم على أساس من تماسك المعنى والسياق ضمن طرفيه، إذ يتشكل أسلوب الشرط من الشرط والجواب، وتبدأ جملة الشرط بأداة الشرط – الاسمية أو الحرفية – ثم يأتي بعدها جملة الجواب، وعادة ما تقترن جملة الجواب بحرف الفاء؛ لأنها تقع في موضع الجواب، فالشرط عبارة عن جملة مكونة من جملتين[1].

([1]) انظر: ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف: المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية، تحقيق: مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، وبيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1987م، ص: 54.

ويبين لنا السيوطي مفهوم الشرط بنواحٍ عدة، فالشرط ما يتوقف عليه صحة الشيء فقط، كما أنه ما يتوقف عليه بأثر المؤثر، وهو أيضاً ما يوجد الحكم لوجوده[1].

هذا هو مفهوم الشرط، فإنه يدل على وقوع حكم ما، مرتبطاً بحصول شيء ما، ويكون ذلك من خلال أداة شرطية اسمية أو حرفية، وفيما يلي سنورد الحديث عن بعض المواضع التي جاء فيها التوازي التركيبي مرتبطاً بأسلوب الشرط، وأول هذه المواضع ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾[2].

الآيات الكريمة تشتمل على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

الشـــــرط	جـــــــواب الـــشـــــرط ومعطوفة	
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا	وَيَصْلَى سَعِيرًا

وقد اتكأ التوازي التركيبي في الآيات السابقة على أسلوب الشرط، فإن أداة الشرط "أمّا" هي التي ظهرت في أول جملة الشرط ضمن طرفي المتوالية الكلامية الثنائية السابقة، و"أمّا" واحدة من أدوات الشرط؛ لذا التزم الفاء في جوابها، وتأتي "أما" لتدل على تفصيل أمور في نفس المتلقي، وقد يُفصل المتكلم بعض هذه الأمور ويترك بعضها الآخر[3].

([1]) السيوطي: معجم مقاليد العلوم، ص: 50، 66، 77.

([2]) سورة الانشقاق، آية: 7 – 12.

([3]) ابن شاهنشاه، الملك المؤيد أبو الفداء إسماعيل بن علي: الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2000م ص: 121.

في الجدول تجد أن التوازي الثنائي تباعدت أطرافه وجاء بشكلٍ أفقي؛ لأن لكل شرط هنا جوابه المختلف عن جواب الشرط الآخر، فلم تتوالَ الآيات الشرطية لجواب واحد، بل كانا منفصلين، وجاء بين مواقع متوازنة في أغلب العناصر.

توافقت البنى في الشرط ولكن تغايرت في آخر أطرافه؛ وذلك بين الجار والمجرور (بيمينه) والمنصوب بنزع الخافض (وراء ظهره) أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وفي جواب الشرط تجد التغاير بين الفعل المضارع المبني للمجهول (يُحاسب) والمبني للمعلوم (يدعو)، وكذلك بين المفعول المطلق (حساباً) والمفعول به (ثبورا)، وتشابهت في الأفعال المضارعة المعطوفة على جواب الشرط (ينقلب، يصلى)[1]، فغلب على هذه المتوالية أن تكون على بنى متغايرة.

تتمثل دلالة الآيات في ثنائية الحديث عن أهل اليمين وأهل الشمال ممن سيعطون كتبهم يوم القيامة، فأما من أوتي كتابه بيمينه من الناس، فهو من أهل الصلاح، ومن أهل الجنة، وسيكون حسابه يسيراً، وتكون عاقبته السرور والفرح، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، فسوف يدعو لنفسه بالويل والثبور، وسيصلى السعير[2]، فكان التضاد واضحاً في توازي الشرط وجوابه بين أهل اليمين وأهل الشمال.

التضاد بين (بيمينه) و(وراء ظهره)، هو تقابل معنوي وتخالف، بحيث قابل الشيء بخلافه[3]، فضد اليمين هو الشمال، ولكن هنا قابل اليمين بـــــ (وراء ظهره)، فهذا قد يظهر في علاقة هذا التوازي التركيبي الأفقي بين هذه المواقع المتوازنة في أسلوب الشرط والذي

([1]) انظر: مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، ج: 10 ، ص: 423

([2]) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ج: 5، ص: 297.

([3]) انظر: القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 143.

يوحي بأن هناك مقارنة بين صنفين من الناس يوم القيامة، فالناس يوم القيامة منهم من يستلم كتابه بيمينه، وهذا الصنف سيُحاسب حساباً يسيرا، أما الصنف الآخر لا يمكن أن يستلم كتابه في اليمين؛ لأنه لو كان الشرط الأول محدداً لطريقة الاستلام في اليمين لكان الاحتمال في (وراء ظهره) أن يستلم الكتاب بيمينه بطريقه مختلفة، فمثلاً لو كان الصنف الأول أُوتي كتابه بيمينه من أمامه، لكان يحتمل المقصود بـــــ(وراء ظهره) أي: أُوتي كتابه بيمينه من وراء ظهره، ليقع التضاد بين أمام ووراء، ولكن اكتفى _سبحانه وتعالى_ بقول: (بيمينه) في الصنف الأول لينفي عن غيرهم استلام الكتاب باليمين؛ لأنه لا يتبقى لغيرهم إلا الاستلام بالشمال، فكان التضاد المعنوي والتخالف ملحوظ من التوازي في أسلوب الشرط وجوابه بهذه المقارنة الضدية بينهم، وكان له دور واضح في تركيز المعنى وتعميقه في نفس المتلقي من خلال عناصر التضاد لهذه الوحدات الكلامية.

ومن النماذج القريبة لهذا النموذج، ماجاء في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه (7) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة (8) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه (9) فَأُمُّهُ هَاوِيَة**﴾[1].

اشتملت هذه الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي في أسلوب الشرط لمتوالية ثنائية، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

أما	من	ثقلت	موازينه	فهو	في عيشةٍ	راضية
أما	من	خفّت	موازينه	فأمه	هاوية	--

هذا التوازي وقع بين مواقع متوازنة، وتامٌ في تركيب الشرط وقائم على بنى متشابهة، ولكن هناك تغاير في توازي جواب الشرط؛ وذلك في بنية المبتدأ بين الضمير (هو)، والاسم (أمه)، وكذلك في الخبر بين الجار والمجرور (في عيشةٍ) و (هاوية)، إلا أنَّ هناك توافقاً

(1) سورة القارعة، آية: 7 – 9.

تركيبي في جواب الشرط بالشكل العام؛ لأن الجملة الاسمية الواقعة في جواب الشرط جاءت في كل الطرفين في محل خبر للمبتدأ (من) في الشرط[1]، وهناك زيادة في تركيب الطرف الأول، وذلك في صفة المبتدأ (راضية) التي أضفت جمالية لهذه المتوالية في توازيها الصوتي مع الخبر في جواب شرط الطرف الثاني (هاوية)؛ وذلك باسم الفاعل المتفق بنهاية الحروف في الياء والتاء المربوطة.

وفي موضع آخر قد يقع التوازي التركيبي في الشرط دون جوابه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَت (8) وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَت (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَت (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَت﴾[2].

تشتمل الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية رباعية على النحو التالي:

فـــــ	إذا	النجوم	طُمِست
و	إذا	السماء	فُرِجت
و	إذا	الجبال	نُسِفت
و	إذا	الرسل	أُقِّتت

يتّضح في هذه المتوالية أن التوازي التركيبي فيها تام؛ وذلك أن كل وحدة كلامية توازيها وحدة في الموقع الإعرابي، بحيث جاءت (النجوم، السماء، الجبال، الرسل)، جميعها نائباً للفاعل ومعرّف بـــــ(ال)، وكذلك جاءت الأفعال على بنى متشابهة في المبني للمجهول (طُمِست، فُرِجت"، نُسِفت، أُقِّتت)، الأمر الذي زاد من قوة التوازي في هذه المتوالية.

التوازي التركيبي بشكله العام تنتمي الوحدات الكلامية فيه إلى حقل دلالي واحد، بحيث اعتمدت على الترادف، في تعداد أهوال يوم القيامة، فإذا النجوم ذهب نورها ومُحي، والسماء

([1]) الدعاس، أحمد عبيد: إعراب القرآن الكريم، دار المنير، دمشق – سوريه، 1425هـ، ج: 3 ، ص: 465.

([2]) سورة المرسلات، آية: 8 – 11.

انشقت وتصدعت والجبال نُسفت أي: فُتِّتت وإذا الرسل حُدِّد لها وقت معين تحضر فيه[1]، ومما يعزّز القول بالترادف، هو اشتراك (السماء) و(النجوم) و(الجبال) بعلاقة العلو.

وقد يقع التوازي التركيبي في الجواب فقط، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[2].

في الآيات الكريمة وقع التوازي في جواب الطلب بمتوالية رباعية، فقد أمر سيدنا نوح عليه السلام قومه بالاستغفار، لأن الاستغفار يقود إلى مغفرة الله سبحانه وتعالى، وليسقيهم الغيث، ويمددهم بالأموال والبنين، ويرزقهم بالجنات والأنهار، كل هذا أوضحه سيدنا نوح لقومه لعلهم يؤمنون بالله _سبحانه وتعالى_ [3]، فكانت أطرافه الأربعة متقابلة لشرطٍ واحد، وذلك على النحو التالي:

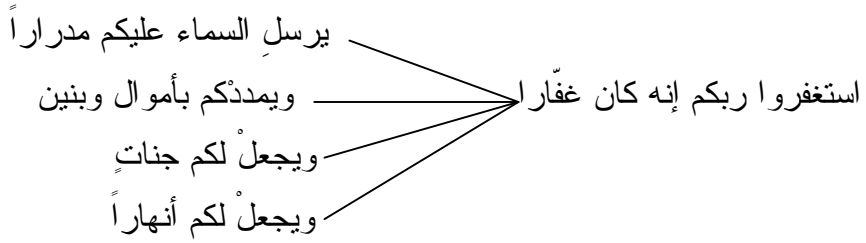

الطلب في العربية كالشرط، ولهذا السبب جُزِمَ جوابه، لأنك حينما تقول: قم يا محمد فتشربِ الماء، كأنك تقول: إنْ تقم يا محمد تشرب الماء، ولما كان المعنى متقارباً بين الشرط والطلب، أخذ الطلب حكم الشرط في الجزم[4].

([1]) انظر: أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبدالقادر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة–السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ، 2003م، ج: 5، ص: 492.

([2]) سورة نوح، آية: 10 – 12.

([3]) انظر: الجوزي: زاد المسير، ج: 4، ص: 342.

([4]) ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد، ج: 4، ص: 40.

التوازي التركيبي في المتوالية غير تام؛ لتفاوت المواقع الإعرابية لبعض العناصر، فالطرف الثالث والرابع كان التركيب كالتالي: (فعل + متعلقان بالفعل + مفعول به)، أما الطرف الثاني فكان تركيبه كالتالي: (فعل + مفعول به متصل + متعلقان بالفعل + معطوف)، ولكن تشابهت في التركيب والبنى في توازي الأفعال المضارعة (يمدد، يرسل، يجعل).

سبق الحديث في التمهيد عن جملة (إنه كان غفارا)، فهل هي من ضمن الشرط في التوازي أم في جوابه، أي على تقدير الأفعال المضارعة، نحو: استغفروا ربكم يغفر لكم، كالتالي:

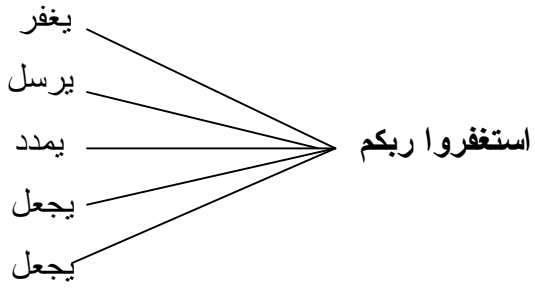

فهذا بين مواقع متقابلة يربطها الطلب كما في الرسم السابق، وقد تكون متوازنة منفصلة، كل طرف منها له طلب مقدَر محذوف، فتصبح المتوالية قائمة على البنى المتغايرة بسبب الحذف والذكر في الطلب. ولكن عند النحاة وقعت هذه الجملة قبل الجواب، فهي ضمن الطلب، كأنها شرط متمّم داخل الطلب، أي بحالة أنه إذا أجتمع الاستغفار والمغفرة يتحقق الجواب، وعليه تنطلق المتوالية بعلاقة سببية من أولها، بخلاف الاحتمال السابق الذي لا يربطه غير العطف، فهنا كل طرف قد يتحقق بما سبقه؛ لتكون المغفرة بسبب الاستغفار، ونزول المطر بسبب المغفرة، ولكن هنا جاء المال والبنون قبل الجنات والأنهار التي تتكون بسبب نزول المطر، فيُحتمل أن المال والبنون تقدّمت على الجنات والأنهار؛ لمراعاة تناسب الفاصلة القرآنية (غفارا، مدرارا، أنهارا)، الذي أضفى هذا التقديم والتأخير توازياً صوتياً وجمالية أكثر

لهذه المتوالية، فالقرآن غاير الترتيب بين المتعاطفات لتناسب الفواصل، فقد قدَم بعض الألفاظ لغرض البداية بالأشرف أو بالأعلى أو لأغراض أخرى[1].

ومما يدعم هذا القول بالعلاقة السببية، أن هناك تقابلاً لأبعادٍ حركية رأسية[2]، وذلك في الطرف الأول من المتوالية بين السماء والأرض، إذ قابل الشيء بخلافه، فالسماء جاءت لفظية، والأرض يمثلها لفظة (عليكم) وذلك في البعد الخفي[3]، فهذه الحركة لم تكن إلا لتولّد دلالة الانبثاق[4]؛ لينبثق منها النبات والجنات والأنهار.

ومما يزيد في قوة هذا التوازي التركيبي في الآيات الكريمة السابقة، اشتمالها على كاف الخطاب التي تمثل عنصر المخاطب وهم قوم نوح _ عليه السلام _ وذلك ضمن المكونات: ربكم، عليكم، يمددكم، لكم، هذه المكونات التركيبية من شأنها أن تمنح التوازي مزيداً من القوة والتوافق ضمن عناصر التركيب النحوي السابقة.

وفي موضعٍ آخر قد يقع التوازي التركيبي في الشرط وجوابه كلاً على حده، بحيث يكون التوازي الشرطي متوالية، ويكون الجواب في متوالية أخرى، ومن النماذج القرآنية التي اشتملت على التوازي التركيبي على ذلك، ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (15) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (16) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**﴾[5].

([1]) انظر: الخضري، محمد الأمين، من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية، 1994م،1414هـ، ص: 10.

([2]) انظر: القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 302.

([3]) انظر: المرجع السابق، ص: 135.

([4]) انظر: المرجع السابق، ص: 341.

([5]) سورة الحاقة، آية: 13 – 16.

أول ملامح هذا التوازي التركيبي هو مجيء الأفعال جميعها أفعالاً ماضية، على الرغم أن الآيات توضّح ما سيحدث عن أمر يوم القيامة في زمن المستقبل، ولكن التعبير القرآني في هذه المتوالية الثلاثية جاء بالأفعال الماضية التي تدل على انقضاء الحدث؛ لأن الأحداث التي يبينها القرآن الكريم في اللوح المحفوظ قد وقعت، فعبّر القرآن عنها بالفعل الماضي للدلالة على حتمية وقوعها، فكما أن الفعل الماضي يدل على انقضاء الحدث، فالكلام هاهنا عن أمر سيقع لا محالة، حتى أنه صار كأنه وقع، وكانت الأفعال الماضية تدل على ما سيكون للأرض والجبال والسماء، فإن الأرض ستُضرب بالجبال، فتصيرا هباءً، ثم إن السماء ستتشقق وتختفي[1].

وقع التوازي التركيبي في الآيات الكريمة في نسقي الشرط وجوابه، فلكل نسق متوالية مغايرة في التركيب عن النسق الآخر، وكذلك التوازي في كل متوالية جاءَ بين مواقع متقابلة، فكانت متوالية الشرط على النحو التالي:

فإذا ← نُفخ في الصور نفخة واحدة
فإذا ← حُملت الأرض والجبال
فإذا ← دُكتا دكة واحدة

هذه الأطراف المتقابلة مع (فإذا) متغايرة في مواقعها الإعرابية، أي غير تامة، وذلك في الطرف الأول زاد الجار والمجرور، ونقص في الثاني المفعول به والصفة مقارنةً بتركيب الأطراف الأخرى، ولكنها قامت على بنى متشابهة في أغلب عناصرها؛ وذلك بتوافق الأفعال، فقد جاءت جميعها أفعالاً ماضية مبنيّة للمجهول، وكذلك باشتراك الطرف الأول والثالث في الصفة (واحدة)، وكذلك بتوافق بنية المفاعيل (نفخة، دكة) رغم أن المفاعيل تغايرت في

([1]) انظر: الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2004م، ج: 4، ص: 363.

الإعراب، فكانت (نفخة) مفعولاً به، و(دكة) وقعت مفعولاً مطلق، فلم يقع التغاير في البنى إلا في نائب الفاعل في الطرف الثالث في (دُكّتا) بحيث جاءَ ضميراً متصلاً.

أظهرت المتوالية في الشرط تقابلاً حركياً رأسياً متضاداً في بعض عناصرها؛ وذلك بين (حُملت) و(دُكّت)، فهي أفعال ماضية متضادة ومتشابهة في بنائها للمجهول.

هذا في التوازي الشرط، أما في الجواب فوقع التوازي التركيبي بمتوالية ثنائية الأطراف، وأيضا كان بين مواقع متقابلة على النحو التالي:

فيومئذٍ ـــــــ وقعت الواقعة
انشقت السماء

كانت الأطراف في التوازي التركيبي هنا تامة، وتشابهت الأفعال الماضية في بنائها للمعلوم، فتغاير التوازي في جواب الشرط في أفعاله مع أفعال الشرط في البنى الصرفية.

قام التوازي في الجواب على الترادف، أما في النسقين فقد اعتمدت المتواليات على الترادف رغم اشتمالها لبعض التقابلات المتضادة في عناصرها، بحيث توضح هذه الآيات الكريمة ما سيكون من أمر القيامة، فإنه سيُنفخ في الصور، وستحمل الأرض والجبال، ثم تُدك، تلك هي الساعة، وتلك هي الواقعة، وما تلك الأهوال إلا دليل على وقوعها، فالأرض والجبال قد دُكّت، والسماء قد انشقت[1]، الأمر الذي يقود أن المتواليات قامت على هذه المترادفات عن أمر يوم القيامة.

التوازي التركيبي في النهي والنفي:

أسلوب النهي، يشير هذا المصطلح باعتباره أسلوباً نحوياً تركيبياً إلى تلك العلاقة التركيبية بين أداة النهي والفعل المنهي عنه، وذلك وفقاً لما يقتضيه طلب المتكلم من المتلقي،

(1) انظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ج: 5، ص: 240.

فالنهي طلب ترك الفعل، كأن يقول الإنسان لمن دونه: لا تفعل، فهذا الطلب على سبيل الترك، ويطلق عليه مصطلح النهي[1].

ويعبر أسلوب النهي عن الإحجام عن الفعل، أي إنه دعاء من المتكلم للمتلقي بأن يحجم عن فعل شيء ما[2].

وكما هو حاصل في سائر الأساليب النحوية الأخرى، فلا بد من وجود دالة على هذا الأسلوب، وهي دالة تركيبية، وللنهي دالة تركيبية نحوية واضحة ألا وهي "لا" الناهية، إذ تدخل على الفعل المضارع، وتختص به دون سائر الأفعال، ومن هنا فإنها تعمل فيه الجزم[3].

ودالة النهي هذه تسمى بـــ "لا" الناهية، وتُذكر في مصنفات النحاة القدماء بأنها حرف النهي، فإذا أرادوا التعبير عنها دون ذكرها قالوا: حرف النهي، يقصدون بذلك "لا" الناهية[4].

ويرتبط أسلوب النهي في كثير من المواضع بالتوازي التركيبي، ومن بين المواضع التي يظهر فيها توازٍ تركيبي ضمن عناصر الجزم، ما يتعلق بـــ "لا" الناهية، التي على صيغة: "لا تفعل"، أي أن المتكلم يطلب من المتلقي أن ينتهي عن فعل شيء ما[5]، وفيما يلي سيورد

([1]) الجرجاني: التعريفات، ص: 208.

([2]) السيوطي: معجم مقاليد العلوم، ص: 66.

([3]) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، 1416هـــ، 1995م.

([4]) الشيباني، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير: البديع في علم العربية، تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـــ، ج: 2، ص: 444.

([5]) انظر: البياتي، ظاهر شوكت: أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـــ، 2005م.

الباحث عدداً من الآيات المكية المشتملة على توازٍ تركيبي مرتبط بأسلوب النهي، وأول هذه المواضع ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَر (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَر﴾[1].

هذا النموذج مدخل لهذا التوازي في الأسلوب، بحيث يرتبط هذا النموذج بالموضوع السابق (التوازي التركيبي في أسلوب الشرط وجوابه)، لاشتماله على الأسلوبين.

جاء الكلام مستأنفاً بعد "أما" في المتوالية، والمعنى: فأما اليتيم فلا تقهره، ولكنه جعلها على الاستئناف، فحذف الضمير من الفعل، وهذا موجود في العربية بعد "أما" يأتي استئناف، كقولنا: أما زيدٌ فمنطلقٌ[2].

فهذا النموذج اشتمل على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية، على النحو التالي:

فأما	اليتيم	فلا	تقهر
وأما	السائلَ	فلا	تنهر

فهذه المتوالية الثنائية متساوية الأطراف نحوياً، وصرفياً، وصوتياً؛ إذ يتكون كل طرف على النحو الآتي:

أما (شرط وتفصيل) + مفعول به مقدم + فاء (رابطة) + "لا" الناهية + فعل مضارع مجزوم.

فبذلك هو توازٍ تركيبي، وقائم على البنى المتشابهة لا المتغايرة؛ لتوافق بنيات الكلام في أطراف المتوالية بجميع مستوياته.

وكذلك أظهرت المتوالية توازيا صوتياً في آخر أطراف المتوالية في (تقهر، تنهر) بين الهاء والراء، والتي تُمثّل اتفاق الفاصلة القرآنية.

([1]) سورة الضحى، آية: 9 – 10

([2]) انظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1984م، ص: 64.

اعتمدت المتوالية على الترادف، فقد ترادفت الوحدات الكلامية مع بعضها بعضاً ضمن إطار حقل دلالي واحد، وهو توجيه من الله _سبحانه وتعالى_ لنبيه الكريم بكيفية التعامل مع اليتيم، والسائل، فأما اليتيم فواجبه أن يعطف عليه، ولا يزجره، ولا يمنعه من الإحسان، وأما السائل فعلى المسلم أن يرده بالكلام الطيب الحسن، ولا ينتهره، أي أن عليه حسن الجواب[1]، فكانت الوحدات الكلامية مترادفة في هذا التوجية.

كما أنه يلي الآيتين آية توازيهما، ولكنْ بينهما تغاير، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]، فهذه الآية فيها أمر للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم _ بأن يُحدِّث الناس بنعمة ربه، والمقصود بالنعمة هنا: القرآن، أو النبوة، أو الخير، إذ على المسلم أن يُحدِّث من يثق به من إخوانه المسلمين، بما وفقه الله إليه من الخير والبركة، وقيل يحدث به نفسه[3].

فهذه الآية توازي الآيتين السابقتين، لتكون المتوالية ثلاثية، ولكن توازي الآية مع المتوالية متغاير؛ إذ لا تشتمل على أسلوب النهي، واُختتمت بفعل أمر لا فعل مضارع.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[4].

تشتمل الآية الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية على النحو التالي:

ولا	تصعرْ	خدَّك
ولا	تمشِ	في الأرض

([1]) انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 6، ص: 295.

([2]) سورة الضحى، آية: 11.

([3]) انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء الكتب العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1420هـ، ج: 31، ص: 201.

([4]) سورة لقمان، آية: 18.

الصعر الوارد في الآية الكريمة يشير إلى الميل، إذ تقول العرب: لأقيمن صعرك، أي لأقيمن اعوجاجك، فالصعر هاهنا يدل على الميل والاعوجاج[1]، وهو في الآية الكريمة يقصد إلى التكبر، أي أن لقمان الحكيم يطلب من ابنه ألا يتكبر على الناس[2].

هذا التوازي التركيبي متشابه في حرف النهي والفعل المضارع ومتغاير فيما بعده، فـــ "لا" الناهية توازيها "لا" الناهية، وكذلك الفعل المضارع يوازيه الفعل المضارع.

واعتمد التوازي التركيبي على الترادف؛ إذ الوحدات الكلامية في تركيب المتوالية الثنائية تنتمي إلى حقل دلالي واحد، وهي: تصعر خدك، تمشي، مرحاً، فهذه الوحدات الكلامية كلها تشير إلى الأخلاق البغيضة التي نهى لقمان الحكيم ابنه عن إتيانها والوقوع في مغبتها، فكان ذلك دالة تركيبية تشير إلى عناصر التوازي التركيبي ضمن الآية الكريمة السابقة.

وفي موضع آخر قد يمتد التوازي التركيبي في النهي ليتكوّن من متوالية لها عشرة أطراف، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا (31) وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلا (32) وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا (34) وَأَوْفُوا

([1]) انظر: ابن الحداد، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي: كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة – مصر، د.ط، 1975م، ج: 3، ص: 422.

([2]) انظر: الصقلي، أبو حفص عمر بن خلف بن مكي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدم له وقابل مخطوطاته: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـــ، 1990م، ص: 279.

الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا (35) وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولِئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا (36) وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[1].

تشتمل الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي من عشرة أطراف تتمثل بالجدول التالي:

ولا	تجعل	--	يدك
ولا	تبسط	--	ـــــها
ولا	تقتلـــــ	ـــــوا	أولادكم
ولا	تقربـــــــ	ـــــوا	الزنى
ولا	تقتلـــــــ	ـــــوا	النفس
ولا	يسرف	--	في القتل
ولا	تقربـــــــ	ـــــوا	مال اليتيم
ولا	تقف	--	مـــــــا
ولا	تمشِ	--	في الأرض
ولا	تجعل	--	مع الله

تبين الآية القرآنية الكريمة مجموعة من النواهي الربانية التي أراد الله _سبحانه وتعالى_ أن يطهر عباده المسلمين من الوقوع فيها، وهذه النواهي إذا استطاع المؤمن أن يبتعد عنها، كان له الأجر العظيم، والثواب الجزيل، هذا علاوة على المكانة العالية، واتصافه بحسن الخلق، وجميل المعاملة[2].

([1]) سورة الإسراء، آية: 29 – 39.

([2]) انظر: عزت، دروزة محمد: التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1383هـ.

وكما هو واضح في الآيات الكريمة السابقة، فثمة توافق كبير بينها من حيث تركيبها الأسلوبي، إذ يظهر في هذه الآيات الكريمة كيف أن أسلوب النهي واضح الوجود في الآيات الكريمة، الأمر الذي يجعل التوازي التركيبي التي تشتمل عليه توازياً تركيبياً متوازناً، وذلك أنه جاء معتمداً على العطف وحرف النهي والفعل المضارع المنهي عنه والفاعل والمفعول به.

ومن ناحية ثانية فإن هذا التوازي التركيبي جاء معتمداً على البنى المتشابهة في العطف والنهي، وفي الأفعال المضارعة التي جاءت جميعها مبنية للمعلوم رغم طول هذه المتوالية، ولكن هناك تغاير في الفاعل، فقد جاء بين الضمير المستتر وبين الضمير المتصل، وكذلك تغاير في المفعول به بين الاسم والجار والمجرور وبين النكرة والمعرفة، فكان تركيب كل طرف في المتوالية كما يلي:

حرف عطف + حرف نهي + فعل مضارع مجزوم + فاعل مستتر/ ضمير متصل + مفعول به.

اشتملت الآيات الكريمة على غير دالة، فتجد بعض العناصر متقابلة بالتضاد مع بعض العناصر الموجودة في التوازي، وذلك بين:

مغلولة // تبسطها يبسط // يقدر إملاق // نرزقهم مظلوماً // منصوراً

وتجد الترادف يظهر بين مجموعة من الوحدات الكلامية، منها ما يرتبط بعنصر التكرار في النهي، وأيضاً تكرار الوحدة الكلامية "تقتلوا" فإن ذلك يشير إلى الترادف، وكلمة "يبسط، وتبسطها، والبسط" فهي ألفاظ متماثلة، فكلها تشير إلى معنى واحد، مما يدل على ترادفها، ومن مظاهر الترادف كذلك كلمة "خطئاً، وفاحشة" فالخطأ مقارب للفاحشة في المعنى؛ لذا فإنها ترقى لكونها مترادفة، وبناء على ما سبق فإن دالة الترادف تبدو واضحة المعالم ضمن عناصر التوازي التركيبي في الآيات الكريمة السابقة.

جاءت "لا" في النماذج السابقة للنهي، فقد تأتي "لا" في نماذج أُخرى لتفيد النفي، ومن النماذج على ذلك ماجاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُون (1) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون (2) وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد (3) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّم (4) وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد﴾[1].

هذا التوازي في أسلوب النفي جاء بين مواقع متقابلة؛ لارتباط جميع أطرافه بالفعل (قل)، وذلك على النحو التالي:

قل
- لا أعبد ما تعبدون
- ولا أنتم عابدون ما أعبد
- ولا أنا عابد ما عبدتم
- ولا أنتم عابدون ما أعبد

في هذه المتوالية الرباعية تشابه وتغاير في البُنى، فقامت على البنى المتشابه من الطرف الثاني إلى نهاية المتوالية، وتغايرت هذه الأطراف جميعها مع الطرف الأول؛ فـــ"لا" النفي دخلت على فعل في الطرف الأول (لا أعبد) أما في باقي الأطراف فدخلت على اسم (ولا أنا، ولا أنتم)، وعليه، كان في هذا التوازي الذي جاء بأسلوب النفي مثالاً آخر، وهو توازٍ بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

يُلحظ التماثل في بعض ألفاظ العبادة؛ وذلك في: (أعبد، تعبدون، عابد، عبدتم) التي دلّت على علاقة المفارقة، فالمفارقة "تكون على مستوى المدلولين بحيث يتخذان نقطة بدء واحدة وهي تشارك داليهما في اللفظ، وينطلق كل مدلول من هذه النقطة باتجاه معاكس للآخر"[2]، فهذا ما كان بين هذه الألفاظ عندما دخل عليها النفي، فانطلقت ألفاظ العبادة في (ولا

([1]) سورة الكافرون، آية: 1 – 5

([2]) القرعان: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص: 352

أنا عابد ما عبدتم) بعكس اتجاه (ولا أنتم عابدون ما أعبد)، الأمر الذي يقود إلى إن المتوالية قائمة على التضاد.

ومن الملامح الدلالية التي ترتبط بعناصر هذا التركيب، فقد تغايرت دلالة اسم الفاعل بين الحال والاستقبال، فإنه _سبحانه وتعالى_ قد عبّر عن عبادة الكافرين بـــ (أنتم عابدون) وهذا دال على الحال، انطلاقاً من أن الكافرين هم أهل هوىً، فكل يوم لهم إله يعبدونه، فلذلك قال: (لا أعبد ما تعبدون) يعني الآن، (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أنا الآن أيضاً، ثم قال: (ولا أنا عابد ما عبدتم) يعني فيما يستقبل، فكأنه أدخل فيها معنى الشرط، ولذلك وقع بعدها الفعل بلفظ الماضي (عبدتم)، وهو مستقبل في المعنى، كما يكون ذلك بعد حروف الشرط، كأنه يقول: مهما عبدتم شيئاً فلا أعبده[1].

ومن الآيات القرآنية التي اشتملت على توازٍ في أسلوب النهي ماجاء في قوله سبحانه وتعالى:

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[2].

تشتمل الآياتان الكريمتان على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية، وهي على النحو التالي:

لم	نكُ	من المصلين
لم	نكُ	نطعم المسكين

قام التوازي التركيبي في أداة النفي والفعل المضارع المجزوم على البنى المتشابهة، وكذلك اسما الفعل الناسخ كانا ضميرين مستترين تقديرهما (نحن)؛ وتغايرت البنى التركيبية فيما بعدهما في خبر كان بين الجار والمجرور (من المصلين)، والجملة الفعلية الواقعة خبراً لكان (نطعم المسكين)، والتغاير بين الجمع والمفرد في (المصلين، المسكين).

([1]) انظر: السهيلي: نتائج الفكر في النحو، ص: 143.

([2]) سورة المدثر، آية: 43 – 44.

الفعل المضارع تؤثر فيه العوامل، فهو معرب وليس مبنياً، ومن الحالات الإعرابية التي تطرأ عليه ما يتعلق بحالة الجزم، وهي حذف الحركة من آخر الفعل، وحروفه: لم، ولا الناهية، ولام الأمر، ولمّا، وأدوات الشرط[1].

فيظهر ذلك في المتوالية فقد دخلت "لم" على الفعل المضارع: "يكن" فأحدثت فيه الجزم، وأن بعض النحاة يُطلق على أدوات الجزم في العربية "لم" وأخواتها، وهذه الأدوات الجازمة إنما عملت بجزم الفعل المضارع، وحذف الحركة من آخره[2].

هذه الآيات الكريمة اشتملت على مجيء ""يكن" محذوفة النون، وهي حالة تطرأ على الفعل الناقص "يكن" في حالة المضارع، وتكون في حالة الجزم، وغالباً ما تكون إذا كان الجازم "لم"، فيقال: لم يكُ ليفعل، وهكذا[3].

التوازي التركيبي قائم على دالة الترادف؛ لترادف الحديث عن حال الكافرين في النار، وماهم عليه من ندم، على ما كان من تفريطهم في حياتهم الدنيا، فإنهم لم يكونوا من أهل الصلاة، ولم يكونوا من أهل الزكاة، مما جعلهم يُلقون في نار جهنم، هذا يعني أن ما وقع عليه من العذاب إنما هو بكسب أيديهم[4].

التوازي التركيبي في النداء:

والحديث عن أسلوب النداء ضمن عناصر التوازي التركيبي في القرآن الكريم يقتضي بدءاً أن نبين معنى النداء، فالنداء أسلوب نحوي يتركب من عنصرين أساسيين هما: أداة النداء – حرف النداء – يليه المنادى، وأدوات النداء خمسة هي: الهمزة، ويا، وأي، وأيا، وهيا، وقد

([1]) انظر: ابن جني: اللمع في العربية، ص: 132.

([2]) انظر: ابن الوراق: علل النحو، ص: 198.

([3]) انظر: أبو حيان الأندلسي، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن علي: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، ودار كنوز إشبيليا، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 4، ص: 236.

([4]) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج: 19، ص: 88.

نابت هذه الحروف مناب الفعل "أدعو" إذ تقدير الكلام في قولنا: يا زيد، هو: أدعو زيداً، فنابت أداة النداء عن الفعل في هذه الحالة[1].

والمقصود بأسلوب النداء طلب إقبال المنادى بأداة النداء التي تنوب مناب الفعل "أدعو"، ولو أطال المتكلم الصوت بأداة النداء فإنه يقصد تنبيه المنادى إذا كان غافلاً، أو إيقاظه إذا كان نائماً[2].

قد يأتي التوازي التركيبي في أسلوب النداء مع الطلب، إما بفعلِ أمرٍ ما، أو لأمرٍ يُراد به الدعاء، أو للنهي، ثمّ تقع هذه الأطراف في الطلب بين مواقع متقابلة للنداء والمنادى، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين (83) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِين (84) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم (85) وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّين (86) وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُون**﴾ [3].

جاء التوازي التركيبي في هذه المتوالية بطلبٍ متقابل مع منادى واحد في جميع أطرافها، وذلك على النحو التالي:

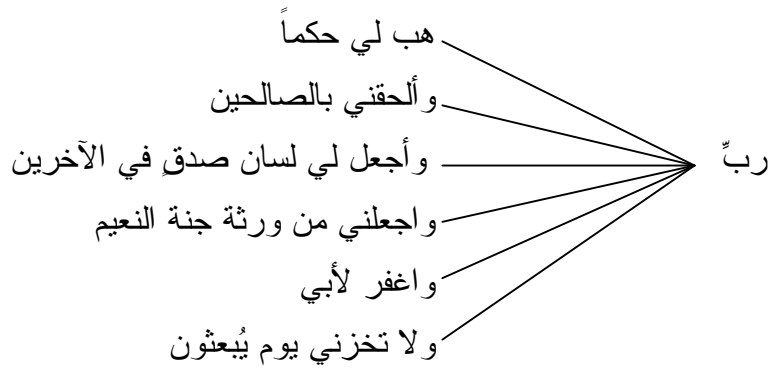

([1]) ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، د.ت.

([2]) الجرجاني: التعريفات، ص: 231.

([3]) سورة الشعراء، آية: 83 – 87

في هذه المتوالية السداسية تقابلت أطراف الطلب مع المنادى، التي غلب على عناصرها الترادف في الأمر المُراد به الدعاء، وتغايرت مع النهي في آخر طرف من أطراف المتوالية؛ فهي تضاد مع ماقبلها.

الفاعل في المتوالية مستتر في جميع أطرافها، وكذلك يُلحظ مجيء المفاعيل ضمائر متصلة في بعض الأفعال، وذلك في: (ألحقني، اجعلني، تخزني) وهذا مما أضفى جمالية على هذا التوازي التركيبي.

وفي موضع آخر، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[1].

هذه المتوالية السداسية كالسابقة في توازيها بين مواقع متقابلة؛ بحيث تقابلت جميع الأطراف بهذا العطف مع مركب فعلي واحد وهو: (قال ربِّ)، لكنها أقوى توافقاً في توازيها التركيبي من السابقة رغم اشتمالها على بعض التغاير في التركيب بين أطرافها، فكان التوازي في هذه المتوالية على النحو التالي:

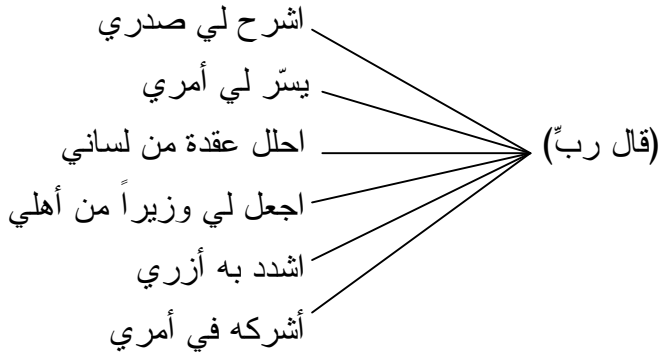

(1) سورة طه، آية: 25 – 32

في هذه المتوالية توافق تركيب الطرف الأول والثاني والرابع والخامس في الترتيب، فالتوازي بينهما تام؛ بحيث كانت الأطراف جميعها على التركيب التالي:

فعل أمر مُراد به الدعاء + فاعل مستتر + متعلق بالفعل + مفعول به + مضاف إليه

وكان تركيب الطرف الثالث على النحو التالي:

فعل أمر مُراد به الدعاء + فاعل مستتر + مفعول به + متعلق بالفعل

أما تركيب الطرف الأخير فكان على النحو التالي:

فعل أمر مُراد به الدعاء + فاعل مستتر + مفعول به "الضمير المتصل" + متعلق بالفعل

التغاير في هذا التراكيب بين هذه الأطراف كان فقط في الجار والمجرور المتعلق بالفعل، فتجده في النمط الأول قبل المفعول به، وفي الأنماط الأخرى بعده، كما أن الطرف الثالث لحقه جواب للطلب، وذلك بقوله تعالى: (يفقهوا قولي) الذي يوازي الأطراف في التركيب؛ بأنه مكوّن من فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ولكن خرج عن أسلوب الطلب، ومما أضفى جمالية أكثر لهذا التوازي هو ترادف البدل في الطرف الرابع بقوله تعالى: (هارون أخي)، فكان (هارون) بدل من المفعول به قبلها (وزيراً)، ثم تبعه (أخي) فكانت بدل من (هارون).

وكذلك في بقية عناصر المتوالية كان الترادف واضحاً، ويُلحظ التقابل المتضاد بين الفعل (اشدد) والفعل (احلل)، إلا أنه تضاد فرع من أصل غلب عليه الترادف.

وفي موضع آخر قد يأتي التوازي في أسلوب النداء بين مواقع متوازنة في المنادى، وتجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَام (35)

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيم (36) رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ [1].

تشتمل الآيات القرآنية السابقة على توازٍ تركيبي ذي متوالية كلامية خماسية، يمكن لنا أن نوضحها وفقاً للجدول الآتي:

ربِّ	اجعل هذا البلد آمناً
ربِّ	إنهن أضللن كثيراً من الناس
ربنا	إني أسكنت من ذريتي
ربنا	ليقيموا الصلاة
ربنا	إنك تعلم ما نخفي وما نعلن

يقوم التوازي التركيبي السابق على أسلوب النداء، فجاء بحذف أداة النداء، فالتقدير في الآيات السابقة: يا رب، ويا ربنا[2].

ويقوم التوازي التركيبي في هذه المتوالية على تغاير في التركيب والبُنى في الجمل بعد المنادى، مع شيء من التوازن في تركيب النداء والمنادى، أما الجمل التي تلي جمل النداء فكانت بين اسمية مصدرة بـــ "إنّ" التوكيدية: (إني، أنهن، إنك)، أو فعلية: (أسكنت، ليقيموا).

وقد يقع في المتوالية توازٍ بين مواقع متقابلة؛ وذلك في الطرف الأول كالتالي:

ربِّ ـــــــــــ اجعل هذا البلد آمنا

اجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام

(1) سورة إبراهيم، آية: 34 – 38.

(2) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج: 1، ص: 361.

فكان الترادف واضحاً بينهما، ولكن هناك تقابل متضاد بعد جملة (ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس)، وهي: (فمن تبعني فإنه منّي ومن عصاني فإنّك غفور رحيم)، فكان التضاد كالتالي:

فـــــ من تبعني فإنه منّي

و من عصاني فإنك غفور

وكذلك وقع التضاد في الطرف الأخير بين: (ما نخفي، ما نعلن)، فهذه كانت التقابلات المتضادة في هذا التوازي التركيبي، إلا أن المتوالية أظهرت ترادفاً بعنوان وحدانية الله، ومن بين تلك الوحدات التي تنتمي لهذا الحقل: (نعبد، ليقيموا الصلاة، تبعني، غفور، آمناً).

وفي موضعٍ آخر قد يأتي التوازي في أسلوب النداء بين المواقع المتوازنة في الشكل العام، وبين مواقع متقابلة في أحد الأطراف، كما في قوله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير (16) يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُور﴾[1].

تشتمل الآيات الكريمة على توازٍ تركيبي ذي متوالية ثنائية، على النحو التالي:

يا	بُنيّ	إنها إن تك مثقال حبةٍ
يا	بُنيّ	أقم الصلاة

التوازي التركيبي في النداء والمنادى بين مواقع متوازنة، فقوله: يا بُني، هذه صيغة تأتي للنداء لإبراز التودد والتعطف للابن، وذلك بصيغة التصغير التي تأتي في موضع المنادى[2]، وقد تكررت هذه الصيغة في الطرفين من المتوالية، في كل طرف من طرفي المتوالية الكلامية.

([1]) سورة لقمان، آية: 16 – 17.

([2]) انظر: ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي: شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 4، ص: 1913.

والآية الكريمة من قبيل النصح والإرشاد والوصايا من لقمان الحكيم لابنه، إذ يوصيه بأن يعرف صفات الله سبحانه وتعالى، وقدرته المطلقة، فإنه يستطيع أن يأتي بأي شيء من موضعه، ولا يعجزه ذلك، ومن هنا فإن على الإنسان أن يعبد الله _سبحانه وتعالى_ وأن يقيم الصلاة لوجهه الكريم، فهو سبحانه وحده المستحق للعبادة[1].

جاء التوازي في أسلوب النداء والمنادى يليهما جملة، ولكن هذه الجملة في الطرف الأول اسمية، وفي الطرف الثاني فعلية، ومن هنا فالأطراف متغايرة في التركيب والبُنى، ولكن هناك جمل متوازية في التركيب للجملة الفعلية ومعطوفة عليها، فكان التوازي فيها مكوّناً من متوالية رباعية الأطراف متفرّعة من الطرف الثاني للمتوالية الثنائية السابقة، وجاءت بين مواقع متقابلة مع النداء والمنادى في الطرف الثاني، ويمكن توضيحها كالتالي:

يا بُني ← أقم الصلاة
يا بُني ← أْمُر بالمعروف
يا بُني ← اْنهَ عن المنكر
يا بُني ← اصبر على ما أصابك

أما دالة التوازي التركيبي في هذه المتواليات فتتمثل بدالة الترادف في أغلب عناصرها، وذلك أن كل من الوحدات الكلامية الآتية تنتمي إلى حقل دلالي واحد؛ إلا أن هناك تقابل متضاد بين (أْمُر بالمعروف) و(اْنهَ عن المنكر).

وفي نهاية هذا الفصل قد يصل الباحث إلى بعض النتائج، ومنها:

1- كانت نماذج التوازي التركيبي في الأساليب أقوى تماسكاً، وأكثر وفرة في النماذج وتنوعاً من الفصول السابقة.

2- غلب على التوازي التركيبي في الأسلوبيات تعدد أطراف المتوالية، فكان الأغلب يتجاوز إلى متوالية ثلاثية ومتوالية رباعية وأكثر.

([1]) انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج: 25، ص: 120 – 121.

الخاتمة:

لقد تمّ للدراسة الاكتمال بعد أن بلغت حدّ النضوج، بما أشبعها البحث من دراسات، ومعالجة وتحليلاً، في التوازي التركيبي، بغية الوقوع على عظيم القرآن وإعجازه، والجماليات التي كان نتاجها التوازي التركيبي في القرآن الكريم في الصور المكية منه، أما خَلُص إليه البحث من نتائج فتقع في:

1. أظهرت الدراسة أن مفهوم التوازي رغم وجوده عند القدماء، إلا أنه لم يكن واضح المعالم كمعلم ومصطلح، فتارة كانوا يعدونه ترصيعًا وتارة يعملونه على المتوازن، إلى أن استقرّوا على جعله من أقام السجع، ومع إرساء معالم التوازي كمعلم مستقر، بما قام عليه العلم الحديث، انتقلت دلالة التوازي لتصبح أكثر عمومًا، واتساعًا، حتى أصبح السجع أحد أقسام التوازي.
2. بينت الدراسة أن التوازي التركيبي –في أغلب شواهده– لا يقف بحدود تطبيقه على مستوى التراكيب جملةً، إنما يدخل في التكرار اللفظي والمقابلة بين الألفاظ، والاتساق الصوتي والأثر الجمالي بتناغمها، فجميعها تتصل بمؤداها وصولاً إلى تشكل التوازي التركيبي بين أطراف التواليات فيه.
3. أظهرت الدراسة أن التوازي التركيبي يشتمل في محتواه على جميع أنواع التوازي، دون أن يقتصر على التراكيب فقط، فيدخل فيه التوازي الصرفي، ومحل عمله الألفاظ، ثم التوازي الصوتي ومحل عمله الأصوات، أما التوازي التركيبي فهو يمثل رأس الهرم لأقسام التوازي جميعها؛ إذ يتخذ منها ويعتمدها عامة لتكتمل بناه والغاية المرجوّة منه.

4. أبرزت الدراسة أن التوازي التركيبي يتناول علم الدلالة؛ إذ يبحث في دلالات المتواليات ليقع على البنى المتشابهة والمتغايرة منها، ودراسة أثرها في انتاج الدلالة.
5. أظهرت الدراسة أنَّ التوازي التركيبي في السور المكية أكثر منها في السور المدنية؛ لما وقع عليه البحث من شواهد، وصلت إلى ستين شاهدًا في حين بلغت في السور المدنية ثلاثة عشر شاهدًا فقط، بما أثبتت الدراسات السابقة رغم أنّ دراسة التوازي التركيبي في السور المكية لم تكن إحصائية بقدر ما اهتمت ببيان أثر التوازي التركيبي في السور المكية من القرآن الكريم، نظرًا إلى قصر الآيات في السور المكية مما يجعل الفواصل القرآنية باقترابها أكثر توازنًا وتناسقًا، فكانت الدراسة في السور المكية في القرآن.
6. دراسة التوازي التركيبي في السور المكية أنسب منها في السور المدنية، لأن السور المدنية آياتها طوال مما يجعل التوازي التركيبي في متواليات ضمن الآية الواحدة لغياب الإيقاع بين الفواصل بتباعدها، على خلاف الآيات في السور المكية، بقصر آياتها كان التوازي التركيبي في متواليات بين آيتين أو أكثر، لقصرها ولحضور الفاصلة فيها، مما أدى معها إلى توافق في البنى، في أغلب مواطنه.
7. أظهرت الدراسة أنّ التوازي التركيبي في السور المكية لم يكن على مستوى واحد في الجمل الاسمية والفعلية والأساليب اللغوية، فكان أغلبها في الأساليب ثم الجملة الاسمية وأقلها في الجملة الفعلية.
8. أبرزت الدراسة الملامح الوظيفية للتوازن التركيبي في الجملة الاسمية والفعلية والأساليب اللغوية، القائمة على التكرار والحذف والذكر، أو التناسق الإيقاعي بين أطراف المتواليات.

9. أظهرت الدراسة أن التوازي التركيبي في الجملة الاسمية اعتمدت في متعلقاتها بين أطراف المتواليات على تكرار حروف المعاني كالعطف.
10. تجلّت التوازي التركيبي في الجملة الاسمية بالوقوف على الضمائر ودورها في توجيه الدلالات، والتوازي بين المعارف والنكرات من الأسماء وصولاً إلى توافق البنى التركيبية أو تخالفها.
11. أبرزت الدراسة أن التوازي في الجملة الاسمية أن أطراف المتوالية كانت بين مواقع متوزانة.
12. ارتبط التوازي التركيبي بين الجملة الفعلية في أغلبه بأركانها الأساسية من مسند (فعل) ومسند إليه (فاعل) ارغم تعد ملحقاتها من مفاعيل، إلا أنها كانت تعود في تكويناتها إلى الفعل والفاعل، بعكس الجملة الاسمية فقد كانت المتواليات تنزاح عن التعلق بالأسناد إلى النواسخ وما يتصل بها.
13. أظهرت الدراسة أن التوازي التركيبي في الجملة الفعلية أتخذت شكل البناء بالوقوف على الفعل ثم تعلق المتواليات اللاحقة بالفعل ذاته على أساس تفرعيه لا تقابلية.
14. أبرزت الدراسة مواطن التقديم والتأخير في الجملة الاسمية الفعلية منها، إنما تولده من قيمة مجالية تجعل التوازي التركيبي أكثر ترابطًا وانسجامًا بين أجزاء المتوالية.
15. اتخذ التوازي التركيبي منهج مغايرًا للجملة الاسمية والفعلية في الأساليب اللغوية بتداخل أكثر من أسلوب لبناء التوازي التركيبي، مما لنفي والاستفهام والنداء والطلب.
16. أبرزت الدراسة أن التوازي التركيبي في الأساليب اللغوية كان يعتمد في أغلبه على أكبر عدد من المتواليات في آيات متعددة لاستيفاء أطراف المتوالية.

17. أظهرت الدراسة أن البنى غير متعلقة بالدوال، فالبنى المتشابهة لا يشترط معها الترادف في الدوال، فتجد البنى المتشابهة تنتهي إلى دالة التضاد، والمتوازية على الترادف.

18. بينت الدراسة أنّ دالة التضاد بين التوازي التركيبي أقوى عند دالة الترادف في توافقها التركيبي في السور المكية من القرى، الكريم، وسبب ذلك يعود إلى خصائص السور المكية، في إثبات الألوهية وقدرة الخالق في خلقه، مما استدعى معه تقابل الأزمنة، كالمقارنة بين الدنيا والآخرة والجنة والنار، والتقابل في الأبعاد المكانية والحركية في تعداد مخلوقاته بين ما في السماء وما في الأرض، وما يحدث في الكون.

19. أوضحت الدراسة أن التوازي التركيبي يبحث في البنى السطحية التراكمية وصولاً إلى البنية العميقة، لإظهار أثر التركيب في بيان قوة الترابط بين المتواليات وتجليات التوازي التركيبي القائمة على البحث في مغاور المتواليات للوقوع على المعاني التي من شأنها أن تثبت أهمية التوازي التركيبي في القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين (ت 637 هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي بالرياض ، ط 1، 1403ه ،1981م ، ج: 1.

الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج: 3.

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2004م، ج: 4.

الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: إعراب القرآن، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة – مصر، ودار الكتب اللبنانية، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، 1420هـ، ج: 1.

البريدي، أحمد بن محمد بن إبراهيم: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، مكتبة الرشد، الرياض–السعودية، الطبعة الأولى، 2005م، 1426هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد محيي السنة: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420ه، ج: 3.

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبدالقادر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة–السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ، 2003م، ج:5.

بهجت، عبدالواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م، مجلد: 12 .

البياتي، ظاهر شوكت: أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ، 2005م.

البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشافعي (ت691هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، ج:5.

التونسي، محمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، ج:29 .

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، ج: 5.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 1422ه، ج 10.

الجارم، علي، وأمين مصطفى: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ط، ود.ت، ج: 1.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: كتاب التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ، 1983م.

الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833 هـ): تمهيد في علم التجويد، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1985م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ): اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت. (د.ط)، (د.ت).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597ه): زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، ج: 4

الجيوسي، عبدالله: التعبير القرآني والدلالة النفسية، ط:2، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، 2007م.

ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر: الكافية في علم النحو، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 2010م.

ابن الحداد، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي: كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة – مصر، د.ط، 1975م، ج: 3.

حسن، عباس: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة الخامسة عشرة، د.ت، ج:1.

أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت395ه): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، 1392، ج: 6.

حميدة، مصطفى: نظام الارتباط والبرط في تركيب الجملة العربية، دار نوبار للطباعة، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1997م.

الحنفي، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي(ت951هـ): حاشية محيي الدين شيخ زاده، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، الطبعة الأولى، 1999م،1419هـ، ج: 8 .

أبو حيان الأندلسي، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن علي: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، ودار كنوز إشبيليا، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 4.

أبو حيان الأندلسي، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن علي (ت 745 ه): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1420ه، ج10.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1998م، ج: 3.

الخضري، محمد الأمين: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية، 1994م،1414هـ.

خطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، 1998م.

الخطيب، إبراهيم: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، الشركة المغربية للناشربن المتحدين، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت – لبنان، ط1، 1982م.

الدعاس، أحمد عبيد: إعراب القرآن الكريم، دار المنير، دمشق – سوريه، 1425هـ، ج: 3.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء الكتب العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1420هـ، ج:31.

رتشاردز: العلم والشعر، تر:د. مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة–مصر، 1650م.

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1984م.

الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت 1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، د.ت، ج: 2.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج:3 .

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: المفصل في صنعة الأعراب، تحقيق: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538ه): الكشاف حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418ه.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، د.ت.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000م.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد: نتائج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412 ه.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزباني: شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، ج: 1.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2004م.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين(ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المرية العامة للكتاب، 1974م، 1394هـ،ج: 4.

ابن شاهنشاه، الملك المؤيد أبو الفداء إسماعيل بن علي: الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2000م.

الشيباني، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير: البديع في علم العربية، تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ، ج: 2.

الصقلي، أبو حفص عمر بن خلف بن مكي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدم له وقابل مخطوطاته: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م.

الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ، ج: 1 .

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت310هـ): جامع البيان، تحقيق: د. عبد الله عبدالمحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م، المجلد: 17.

الطنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى،1998م، المجلد:11 .

ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (ت 775هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه، ج20.

ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984.

عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ــ الأردن، 1996م.

عبد اللطيف، محمد حماسة: النحو والدلالة مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة– مصر، الطبعة الأولى، 1983م.

العدوي، أبي عبد الله مصطفى: التسهيل لتأويل التنزيل "تفسير جزء تبارك في سؤال وجواب"، مكتبة مكة، طنطا، مصر، ط1، 2002م.

عزت، دروزة محمد: التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1383هـ.

العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل (ت395ه): كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: د. مفيد قميمة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1404ه – 1984م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1422ه.

عضيمة، محمد عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة – مصر، د.ط، ود.ت، ج: 3.

ابن عقيل، عبد الله بن عبدالرحمن العقيلي الهمداني (ت769هـ): شرح على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة–مصر، 1400هـ، 1980م، ج: 2 .

الغفيلي، عبد الله بن سليمان: أشراط الساعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج:1 .

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، 1416هـ، 1995م.

أبي الفرج، قدامة بن جعفر (ت337ه): جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيرون–لبنان، ط 1، 1399ه – 1979 م.

فندريس، جوزيف (ت1380هـ): اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1950م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1964م، ج: 19.

القرعان، فايز عارف: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان وقياس الرأي العام، إربد– الأردن، ط 1 ، 1994م.

ابن قنبر، أبي بشر عمرو بن عثمان: الكتاب (كتاب سيبويه) ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1982م، 1402هـ، ج: 4.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى(ت1094هـ): الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت–لبنان، 1998م.

كنوني، محمد: اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد، دار دجلة، عمان–الأردن، 2013م.

ليفن، سمويل: البنيات اللسانية في شعر سمويل، ترجمة: الوالي محمد، والتوازني خالد، منشورات الحوار الأكاديمي، المغرب.

ابن مالك، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م.

ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي: شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى، د.ت.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 6.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ): المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

مصطفى درويش، محيي الدين بن أحمد (ت1406هـ): إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص–سورية، الطبعة الرابعة، 1415هـ، ج: 10 .

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار صادر، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ ، 1993م، ج: 15.

ناجي، د. مجيد عبد الحميد: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1 ، 1404 ه – 1984 م.

ناضر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر، دار السلام، القاهرة– مصر، الطبعة الأولى، 1428ه، ج: 2.

ابن الناظم، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك: شرح على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000م.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل(ت338هـ): إعراب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، ج: 3.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت 710هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج:3.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733): نهاية الإرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس الجامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، ج: 7.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتحقيق وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري (ت761هـ): المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية، تحقيق: مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، وبيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1987م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري (ت761هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ أحمد البقاعي، دار الفكر، بيروت–لبنان، د.ط، ود.ت.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري (ت761هـ): شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، ط 11، 1388هـ.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري (ت761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 1991م،1411هـ.

هلال، ماهر مهدي: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث النقدي عند العرب،(د.ط)، دار الرشيد للنشر، دار الحرية، بغداد،1980م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي: أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام – السعودية، الطبعة الثانية، 1412هـ، 1992م.

ابن الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس: علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ، 1999م.

ياكسون، رومان: قضايا شعرية، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب ، ط 1 1998م.

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي موفق الدين: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422ه، ج4.

يوسف، مراد: مبادئ علم النفس، ط 2 ، دار المعارف- القاهرة، 1974م.

الدوريات:

بركة، بسام: المنهجيات اللسانية في تحليل الخطاب الأدبي، مجلة الفكر العربي، ع 87، 1997 م.

الحديثي، د. هدى محمد صالح: المستويات الدلالية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الأدب: 584، 2002م.

ربابعة، موسى: ظاهرة التوازي للقصيدة الخنساء، مجلة دراسات، مج 22 (أ)، 54 ، 1995م.

رواشدة، سامح: التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، جامعة مؤتة – قسم اللغة العربية، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد 16 ، الرافعي ، ط 9، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان 1973م.

الزمر، د. أحمد قاسم: معالم أسلوبية عند ابن الأثير في كتاب المثل السائر، مجلة المورد، ع 2، 2002م.

أبو عمامة، د. محمد: الصوت والدلالة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، مجلة التراث العربي، العدد (85)، يناير 1985م.

كنوني، محمد: التوازي ولغة الشعر، بحث منشور في مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، ع 18 ، 1999م .

مفتاح، محمد: مدخل إلى قراء النص الشعري، مجلة فصول ، مج: 16 – 14 ، 1997م.

الرسائل الجامعية:

بديدية، يوسف: جماليات التوازي في شعر نزار قباني– نحو مقاربة سيميائية أسلوبية– رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه االعلوم في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها' وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الحاج ، 2013م.

الحيّاني، عبد الله خليف خضير عبيد: التوازي التركيبي في القرآن الكريم ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل في العراق، 2004م، 1425هـ.

العربي، عبدالله: بلاغة التوازي في السور المدنية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران، السانيا-الجزائر، 2014-2015م.

المشهداني، فائزة محمد محمود: مستويات الخطاب في القصة القرآنية، (أطروحة) مقدمة لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في الأدب العربي ، كلية التربية– جامعة الموصل، 2004م.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، أصل الكتاب رسالة دكتوراه، الطبعة الأولى، 1992م، ج: 1.

The Structural Parallel in Meccan Verses of the Holy Quran

By

Adel Khlaif Humud Alshammari

Supervisor

Associate Prof. Dr. Salem Alhadrusi

Abstract

The study of structural parallel is needed with the Holy Quran more than any other field. Taking this significance in mind، the contemporary researchers made their attempts to investigate and analyze structural parallel in the Holy Quran، which also attracted this researcher to address the speech of Allah that is sacred in words and meanings.

This study entitled "*Structural Parallel in Meccan Verses of the Holy Quran*" was organized into an introduction، three chapters and conclusion.

The introductory part defined the concept of parallel structure، elements، parts، significance، homogenous and heterogeneous structures. Chapter One discussed the structural parallel in the nominal sentence and predicates; Chapter Two addressed structural parallel in the verbal sentence and predicates; and Chapter There elaborately discussed the structural parallel in the linguistic styles، for instance *interdiction، condition، jurat، interrogation، negation، vocation، and request*.

The study also investigated the effect of structural parallel on level of phoneme، word and structure. The conclusion included results from the analysis of the study chapters